كتاب مراسيل عالقة.

بقلم الكاتبة: هاجر مُصطفى اسماعيل.

التعريف بالمبادرة.

مبادرة المليون كاتب هي إحدى مبادرات تيم فكرتنا الذي تأسس يوم ٢٠١٩/٣/١٢ وهو فريق تطوعي داخل محافظة بني سويف.

وتمَ اطلاق المبادرة يوم ٢٠٢٠/٥/٢٤ وهي مبادرة تطوعية هدفها دعم كل كاتب كبيرًا كان أم صغير.

تعمل على تنمية المواهب لإنشاء جيلًا يعرف أن الحياة يسيرةٌ تحتاج فقط إلى المعافرة.

نائب المنسق العام.	**المنسق العام.**
نورهان علي.	**أحمد سعد مصطفى.**

المقدمة.

ستجد خلفَ أسوار هذا الكتاب فتاةٌ فـ السابعة عشرةَ من عمرها، أخذت العهدَ و وضعت المواثيقَ على أن تجعل أحرفها ضمادًا لندوب كل من يقرأها، سأجعل من مداد قلمي ترياقًا يُصوبُ صوبَ 'جروحكَ' لتجعلها تندملُ، وتسقط الجيم فتكون لروحكَ رفيقًا يرفقُ بها بعدمَا عانت مِرارًا ولاقت مَرَارًا، سأسخرُ لكَ الضمةَ لتُهدأ من روعِ قلبكَ المنتفض، وأسلطُ الكسرةَ على كل من جارَ عليه وجعله ينتفض، وسأجعل من الثمانية والعشرون حرفًا أخلاء تلجأ إليهم وقتَ ضيقكَ وكربتك، فلن تجدَ أبدًا مفرًا من اللجوء إليهم بعدَ عالمِ السرِ وأخفى.

أُهديكَ بعضًا من شِغاف قلبي، لِتُرمم حُطام قلبكَ المُنقض، الحقيقةُ المُرة أنني أكتب ويقرأُ الجميع ولكن لا تصلُ الكلمات لمُرادها، فتظلَ محضَ مراسيلَ عالقة، لن تدب بها الحياةُ أبدًا، ولن تنطقَ الحروف وتفيقَ من سُباتها إلا عندما تقع بين راحتي مُرادها، فأنصت إليها رُبما تُحدثكَ وتكون أنتَ المُراد.

إهداء:

لا أعلم حقًا إذا كانت حروفي هذه أهلٌ لأن تُهدى لأحدهم أم لا ؟

إنها محضُ كلماتٍ مُبعثرةٍ كـ تُراهاتٍ لا فائدةَ منها بمنظور البعض، لكن فالواقع إنها تعني لي الكثير، فهي الحياة، والأصدقاء، وعوضٌ من الله قد جاءني. إن صحَ وصفي بكاتبةٍ فإنني أُهدي كلماتي هذه لكل شخصٍ وثقَ بقلمي يومًا، لكل شخصٍ ربتَ على قلبي بكلمةٍ حانيةٍ تَشدُ أزري وتُعلي من عزمي، أهبها أيضًا لكل هائمٍ بأحرفي، وكل مُقللٍ من شأنها؛ ليعلمَ أنَ تقليلهُ ما زادني إلا إصرارًا، لـ أُمي و الله وحدهُ يعلم كم أُحبك، لـ أبي و وحدكَ كنت جواري في أشد الأوقات العصيبة، أشكركما كثيرًا؛ فوحدكما كنتما بجواري عندما تمكن مني المرض، لـ أطبتي ومُعلمي، لـ جميع القائمين على هذا العمل والعاملين عليه، لـ مؤسس المبادرة وإن لم أوفه حقهُ على جُهدهِ، لـ صديقتي أسماء وليد؛ فـ وحدكِ كنتِ لي حافزًا عندما انتقدني الجميع، لعامل المطبعة الذي لا يلتفت لجهوده أحد، لكل من ساهم بهذا العمل ولو بمثقال ذرة، دعمكم ستظل آثاره عالقةً بي ما حييت.

الفصل الأول.

بعنوان: صَباحيات.

صباح الخير:

صباح الخير لذوي القلوب الهينة، المشذبةُ أرواحهم، من صمختهم الحياة مِرَارًا، ولاقوا مَرَارًا الفاقدين لذاتهم، سلام الله عليكم طبتم فابتسموا لعل القلوب تجبر، والأرواح تدنو من خالقها فيطهرها تطهيرًا، و ستحلو الحياة ويذوب المُر بكاسات السُكر المُحلاة بجبر الله ورحمته، هذا وعدٌ غير مكذوب لكم فقط تبسموا.

صباح الخير:

"رب الخير لا يأتي إلا بالخير"

يبتليكَ ليهديك، لربما ما تظنه شرًا لكَ هو خيرٌ خفي في علم الغيب مخبأٌ لكَ إلى يومٍ معلوم، حاشاه عز وجل أن يصيبكَ بأذى، فما خلقكَ ليشقيكَ بل ليهديك، كن على ثقةٍ أن اختياراتك الله هي الأمثل لكَ، فأمره كله خير، حلوه ومره خيره وشره، وتذكر دائمًا أنكَ أهلٌ للخير يا منبعَ الخير.

صباح الخير:

صباح الخير لكل من استيقظ مبتسمًا بالرغم من كل ألآم أمسٍ الموجعة، و لذاكَ الذي لم ينم من فرطِ ما هاجمته ذكرياته وتمكنت منه فجعلته يبلل وجنتاه دمعًا، صباحُ الخيرِ لكلِ قلبٍ هينٍ كُسرَ وينتظر جبرًا، صباح الخيرِ لكل قلبٍ ينتظر الخيرَ بقدوم أحدهم وتأخر بالمجيء، صباحٌ مني لـ أولئك الذينٍ ينتظرون صباحًا من أحدهم ولم يتفوه به فخابت آمالهم، أقولها لكم نيابةً عنهم ولو جاءت متأخرة، فعلها تمحو أثار خيبة الأمل التي اعترتكم، نهايةٌ أود أن أخبركم أن قلوبكم نقيةٌ وأهلٌ للحب، فأحبكم نيابة عن كل من أحببتموهم، ولم يعير وكم من ذاك الحب بمثقال ذرة، تذكروا دائمًا أن قلبي يحبكم نيابةً عن كل من خذلوكم.

صباح الخير:

صباح الخير، لكل تلك القلوب الهينة، ربما كُسرت وتنتظر جبرًا، الذين يحلمون بمن يجيء فيضمد جراحهم ويجبر كسورهم، صباح جديد ملئ بالأمل، وميض فجرهِ يكسر ذاك الشعور اللعين بالخذلان والخيبة ويُسكن بين طيات أنفسهم أملا جديدًا بالعودة أقوي من ذي قبل بل أصلب ، صباح لكل تلك الحشود الشريدة من الحزن تأبي إلا أن تتحول إلي بسمة تشع في الآفاق فتملأها بهجة وحبًا، صباح مني لأولئك البؤساء يخبرهم بأن البؤس زائل مادام حبل الأمل صامد ولو بفتيلة واحدة مشبث بها ذاك الصغير على يسارك، فما زال الأمل في الإزهار من جديد أمامه لكن فقط أنصحه بأن يتشبث بمن يبقي معه ولو حل عليه المشيب وتساقطت أوراق خريفه معلنةً بأن الرحيل قد حان.

صباحُ الخير:

_وهنالكَ حشودٌ من الخير تحملها تلكَ المضغةُ الصغيرةُ بأيسركَ فجُد ببضعٍ منه على من حولكَ فلربما لا يملكون من الخيرِ شيئًا.

_ صباح الخير:

هنالكَ العديد من القلوب من حولنا وهنالكَ الكثير من الأيادي لنتشبث بها، والعديد من الأكتاف لنتخذها مسندًا، إلا أننا لا نميل إلا لمن يخذلنا بالنهاية، وسلامٌ على من لم يخُن.

صباح الخير:

ويشهد الله أن تلكَ المضغة الصغيرةَ بأيسري قاست الكثير، وعانت حدَ تمني الرحيل، رأت قسوةً وعُوملت بغلظة، لكن وحده رأف بحالها الهين، وأنزل عليها لباثًا من الصبر والطمأنينة، فظلت متشبثةً به وتركت أيادي الجميع من دونه، فاللهم عوضها عوضًا يليق بكل تلكَ الهزائم التي أنهكتها.

الفصل الثاني.

بعنوان: وماذاَ عنه

_ ماذا عنه..؟

وماذا أقول لأصفهُ، إنه أماني ومأمني من شرور البشر، مَسكني ومُسكني من كل داءٍ قد أصابني قبله، كوكبٌ دُريٌ جاءني فأضاء عتمتي، يستوصي بالقلب خيرًا، ويعامله بجل المودة والرحمة، وجهه كما القمر وزاده إيمانه بربه جمالًا، حنونٌ بقلب أم، شديدٌ بقلب أب، متفهمٌ محتويٌ بقلب أخ، فاجتمع به الأم و الأب والأخ، فكان عوضُ الله الذي جاءني بعدَ سنينٍ عجافٍ من يأسٍ وقنوط.

_ وماذا عنه..؟

إنه صافي صفيٌ هدوؤه يغلب على الصمت، ربما اعتيادي، لكنه مميز بعين قلبي، يهفو للحزن لكن سرعان ما يتغلب عليه ويقهره، مبسمهُ ساحرٌ، فما إن تداعب ابتسامته وجهكَ تغمركَ السعادة، لربما ليس مُبتهَجًا، لكنه مُبهجٌ للغاية، يملأ المكان راحةً وطمأنينة من شدة ثقته بربه، لا يتركَ أحدَ الفروض ولو على عنقه، ويحث الجميعَ على البر والطاعة، هذا عنه، هذَا بعضُ ما خطهُ القلم عنه، لكنَ الكَلمَ عاجزٌ عن الوصف.

_ وماذا عنه..؟

لا أدري ماذا أقول عنه، إنه فريدٌ من نوعه، لن تجد له مثيلاً ولا تبديلًا، إنه ذاك الوريد الذي يسري به سر حياتي، إكسير فرحٍ رقيق لامست حبيبات الدر المصنوعة من السعادة بداخله شظايا أحزاني المتراكمة فمحتها، يدعون أن طيبتهُ

حماقة، لكنهم هم الحمقى، فكما نعلم جميعًا أن الله طيبٌ يحب الطيب، حسنًا احذروا إذا ما قبلتموه يومًا أن تقعوا به كما وقعت، فوالله إن الناظر لعينيه يعي من براءتهما أن قلبه أنقي قلبٍ على وجه الأرض، هذا بضعٌ مما خطه القلم عنه، لكن وقفَ الكَلمُ عاجزًا عن الوصف.

ماذا عنه..!؟

دعني أخبركَ عنه، إنه لـ حنونٌ للغاية، يتق الله فـ خلقهِ فلا يؤذي أحدًا ولو أذي، يُطاب مجلسه، ويُستأنس حديثه، عيناه فجوةٌ تتسع لأحزاني وأحزان أهل الأرض جميعًا، إذا ما لامست ابتسامته وجهي تزول كل الألآم، يشبه أول سجدةٍ لرجلٍ حديث الإسلام، بيده الخير كله عطيةٌ من رب السماء، طريقهُ ممهدٌ ولو تخللته العديد من الصعاب، تجد الدفء يدب بأوصالكَ ما إن صافحكَ حتى ولو بمخيلتك، هذا بضعٌ مما خطه القلم عنه، ولكنَ الكَلمَ عاجزٌ عن الوصف.

ماذا عنه.!

أما عنه فـ إنه محمدي المنبت، رحيمٌ ودود، متفهمٌ فاهمٌ، قادرٌ على احتواء ألآمي مهما عظمت، وحده من أبتسم رغمًا عني إذا ما مرَ بخاطري، عوضٌ من الله بعثه لي على هيئة جبر وضماد، جميلٌ خُلقًا وخَلقًا فـ تبارك الخالق سبحانه، وحده بقادرٍ على فهم أفكاري المبعثرة الغير منمقة فيهندمها ليزيل ثقلها عن كاهلي، شخص يحب فـ الله بصدق، يذكرني خفيةٌ بين يدي الله، فهنيئًا لي أن أكون مطلع سجدته ونهايتها، حسنًا هذا بعض ما خطه القلم عنه، لكنَ الكلمَ عاجزٌ عن الوصف.

الفصل الثالث.

بعنوان: قصة قصيرة

"أي لعنةٍ هذه"

إنها الثانيةُ عشر بعدَ منتصف السواد الحالك، بعد سماعكَ للوقت تستغرب كيفَ لفتاةٍ مثلي أن تخرجَ من منزلها بمثل هذا الوقت المتأخر من العتمة، لا تتعجب فأنا طبيبة وتحتم علي طبيعة عملي البقاء بالمشفى لوقتٍ طويل، وفي هذا اليوم بالذات _أنا لم أعتد على التأخر هكذا ولكن كان هنالكَ حالةٌ مرضية لابدَ من إجراء عملية خطرة لها، والحمد لله تمت بنجاح.

في طريق عودتي للبيت شاهدت الأمرَ الأكثر غرابةً على الإطلاق، وجدت بطريقي فتاةً يبدو ويكأنها ارتطمت بسيارةٍ للتو، ارتجلت من سيارتي وبدأت بفحص نبضها، كانت تنبض بشكل مثيرٍ للريبة، وأيضًا كانت تتنفس بطريقةٍ غير منتظمة.

لم أكُ أدري ما علي فعله حيال ذلك، لذا أخذتها على المشفى الذي أعمل به، لكن حال وصولنا حدث ما لم يحدث من ذي قبل، ظلت أضواء المشفى بأكمله تضاء و تنطفئ وحدها، وأيضًا الأبواب تغلق وتفتح، سرت قشعريرةٌ خوفٍ بجسدي، ناديت الحارس ليأخذها معي لنصل للأسانسير ولكن حال وصوله فتحت عيناها بطريقة مرعبةٍ ومفاجئة، ويكأنها لا تريد أن يلمسها أحد غيري، اسندتها علي و صعدنا للطابق العلوي، ناديت دكتور "استيفن" لـ يفحصها بعدما أعطيتها مصلًا مخففًا للألم فقد كانت ملابسها مليئةً بالدماء، ويال بشاعة المنظر وجهها ويداها مُلطختان أيضًا، ولكن ما يُثير التساؤلات لدي أنها ليس مصابة بأي جروح أو خدوش حتى فقط دماء، من أين أتت لا أدري.

أجري الدكتور "ستيفن" الكشف الدوري لها، وطمئنني أنها لا تعاني من شيء، فقط حال أن استفاقت بالكامل حاولت أن أحادثها ولم تجب، سألتها عن عنوان بيتها لأُوصلها أيضًا لم تجب، لكنها بشكلٍ مفُزع جلست مكاني بالسيارة، وأشارت علي بالجلوس، ومن ثمَ بدأت بالقيادة بطريقةٍ جنونية حتى أوصلتنا، لقصرٍ عتيق، من ثمَ خرجت وأشارت لي بالرحيل، عرضت عليها مرافقتها للأعلى، ولكن نظرت لي نظرةً جعلتني على وشكِ أن أفقد وعيي من فرطِ الرعب والخوف اللذان تملكاني.

ومن ثمَ عدت للمنزل، وكانت أمي تغط بنومٍ عميق فـ لم أشأ أن أزعجها، ومن ثمَ قمت بالاستحمام وخلدت للنوم.

صباحَ اليوم التالي، لم تكُ والدتي تريدني أن أخرج "عزيزتي إيملي، ليلةَ أمسٍ راودني حلمٌ بشع، أرجوكِ بنيتي لا تخرجي من المنزل اليوم"

_أسفةٌ يا أمي ولكن أرواح الكثير من البشر بحاجةٍ لمن ينقذها.

ذهبت لـ عملي حينها وهنالكَ همهماتٌ تتعالي بأذني "لقد جاء دورك، لابدَ أن تنالي ما نلناه، لابدَ أن تكوني مثلنا" لم أدرِ ما مصدها.

ولكن ارتعد جسدي، وأصابني صداعٌ كاد يفتك برأسي، أنهيت عملي بتعبٍ ملحوظ، ولم أتصبب عرقًا هكذا كـ ليلتها، عدت من ذات الطريق، ويالها من لعنةٍ وحلت علي، وجدت سيارتي وحدها من تسير، لا تستجيب للطريق ولا للمقود، لا أدري ماذا دهاها، سارت السيارة بطريقة جنونية، كدت أفقد صوابي مما يحدث، ومن ثمَ وجدتني أمام ذات البيت، أجل هو.

كيف جئت إلى هنا، ولمَ.؟

ترجلت من سيارتي أقدم قدمًا وأؤخر الأخرى، يرتجف جسدي بطريقةٍ مثيرةٍ للخوف، تقودني قدماي للداخل دون ارادةٍ مني.

عندمًا وصلت للباب، فتح تلقائيًا دون أن ألمسه، وأصدر صريرًا مُخيفا ومزعجًا.

وجدتني في حضرة البهو العتيق، يبدو أنه لا أحدَ يقطن هنا، ولكن مهلًا تعالت ذات الهمهمات مرةً أخري.

وهنا رأيت ما لم أود رؤيته على الإطلاق، دكتور"ستيفن"

قادمٌ نحوي، ولكن يا إلهي، عيناه بيضاء اللون، ويبدو ويكأنَ وحشًا ضخمًا التهم أحشائه، لم أعي كيفَ أهرب، ولم تسعفني قدماي، حاولت جاهدةً الفرار، وهو يردد "لمَ يا إيملي، لمَ فعلتي بي ذلك"

لم أفعل شيئًا يا إلهي أي لعنةٍ هذه.؟

ركضت وركضت وركضت ويكأنني لا أتحرك من مكاني، أحاول الخروج من هذا المكان البشع، ولكن استوقفني صوت أمي "إيملي عزيزتي، أنا هنا بالأعلي، ساعديني بنيتي، ومن ثمَ صرخت صرخةً مدويةً هزت المكان بأكمله، ومن ثمَ خفت صوتها، خفتَ للأبد.

صعدت درجات السلم بصعوبة لأرى ماذا جاء بـ أمي إلى هنا، "أمي أينَ أنتِ أمي، ومن هنا وجدت تلكَ الفتاة غريبة الأطوار ظهرت أمامي، وهمست إلى همسًا مخيفًا كـ فحيح الأفعى" انظري هناك، لقد التهمتهم جميعًا والآن حان دورك يا إيملي".

استدرت بظهري لأرى أمي مثلَ دكتور "ستيفن" وجميعهم يردد حان دورك، حان دورك، لابدَ أن تكوني مثلنا"

لا يا أمي لا" لم أتمالكَ أعصابي، من هول المنظر وبشاعته سقطت مغشيًا علي.

الفصل الرابع.

مُقتطف من النصوص والمقالات

مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ.

عليكَ وعلى قلبكَ السلامُ كل السلام يا من تقرأُ الآن، أَعلم أن الحياة قد صمختكَ، والاختيارات قد خذلتك، هون عليكَ عزيزي فما نحن بهذه الدنيا سوى عابرين وما نحن بمخلدين، تتلاعب أقدارنا بين شقيٍ وسعيد، شخصٌ مهشمٌ من شتى الجهات والأخر بأقصى درجات السعادة، شخصٌ قابعٌ بالدركِ الأسفل من الحزن والآخر بـ أسمى درجاتِ الفرح، لن يدوم هذا على حالِك حالهِ المرير، ولن يدوم هذا على حلو حاله السعيد، سيتبدل الحال من هذا لذاك والعكس، ولله مستقر كل متغير سُبحانه.

ستجد البعضَ جَزِعًا والبعض حامدًا شاكرًا، بالرغم من أن الابتلاء واحد ولربما أشد بأسًا، لكن إيمان الأول بالله لم يتعدى مقدار ذرة، ويأتي إيمان الآخر ليسع إيمان أهل الأرض جميعًا، شتانٌ بين هذا وذاك، هل يستويان مثلًا ؟

هنا تتجلى رحمةُ الله في خلقهِ فتشمل الحامدَ والناكر، لم يدرِ الأول أن الله عز وجل ما خلقهُ ليشقيهِ بل ليهديه، ولم يبتليه إلا ليقربه منه ويختبر إيمان قلبه و لسانه، فأتى لسان الأول جَزِعًا متذمرًا من قضاء الله، ويأتِ الآخر حامدًا شاكرًا مُتضرعًا لرفع البلاء عنه، هنا يرفعه الله درجات ويُعلى قدرةُ فـ الأولى والأخرة.

عزيزي تزود من كتاب الله وارتشف من آياته ترياقًا لما يحفكَ من نوائب، تالله لن يدع الله مؤمنًا يتضرع له ولو بكلمة نطقها بين ثنايا قلبه ولم يفصح بها لسانه، فـ هو عالمُ السرِ وأخفى، و تذكر دائمًا أن ربَ الخيرِ لا يأتي إلا بالخير، ولو كنتَ تراه شرًا. فتذكر قوله تعالى "وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ". (البقرة: 216)

لا شيء باقٍ على حاله، فـالمُصاب بالحزن والقابع بالظلامِ فانٍ أفلا يفنى الحزن والظلام أيضًا ؟

ستشرق شمس سعادتكَ ولو طال الكَربُ دهرًا، سيتبدل الحزن لـ سعادة، والكرهُ لـ حب، والظلمُ لـ اقتصاص، والباطلُ ببرهانٍ حق، هنا ستقشع الظلمة و اعلم أنَ لكل ضيقٍ مخرجًا وإن بعدَ كل كربٍ فرجًا، وبعدَ العسر يسرًا، وبعدَ البكاء حُزنًا، بكاءٌ بلذةٍ عوض الله فرحًا، فقط لا تجزع واطلب العفو من الله، فسيجبركَ حتمًا.

نـهايةً عزيزي تذكر أن الله لن يخذلك، ولو خَذلتَه بالإعراض لن يتركك، عليكَ فقط أن تتوب إليه، وما الحياة الدنيا إلا متاعُ الغرور، لذلكَ اعمل لأخرتكَ كأنكَ مفارق دُنياك غدًا، وأعمل لدنياكَ كأنكَ تعيش أبدًا، وتذكر أن الرضى بقضاء الله حلوهِ ومرهِ خيره وشرهِ عبادةٌ وشكر لله ولو كنتَ تراه ضرًا، فسيجازيكَ الله على صبركَ إياه بالجنةِ فـ حسنت جزاءً، وحسنت مُنقلبًا.

"التفكير ما هو إلا لعنة"

التفكير لعنةٌ تنهش بصاحبه، تالله إني لازلت أتمنى لو أنه يوجد جهاز تحكم للتفكير، حينها لما كنت لأتوانى لحظةً في ضغط زر الإيقاف للأبد، فمن ثمَ يتوقف عقلي عن التفكير آخذًا هدنةً من تلكَ الحرب الناشبةِ برأسي والتي أظنها لن تدع أوزارها ما حييت، ذاك النوع المُحرق من التفكير يرتشف من عقلي كـ ارتسافي لقدح قهوتي، فمن ثمَ تضج مدينةٌ ثائرةٌ برحم عقلي، وتتعالى صيحات ساكنيها من ذكرياتٍ باليةٍ رحلَ عني ذويها.

دوامات من الذكريات القاسية تلفح شمسها المحرقةُ عقلي لتجعلني على شفًا حفرةٍ من الجنون، فياليت الراحلون عني يرحلون مني لتهدأ أعماقي الثائرة.

أحاول الهرب من كل هذا فلا أجد لي مهربًا ولا ملجأً فمن ثمَ يضيق صدري أمكث بين دفتي كتاب، علني أجد ذاتي المفقودة بين أحداثه، ولعله ينشع أشباح الذكريات السوداء بعيدًا عني.

دعني أخبركَ أنه عندما يجن الليل علي تبدأ مجانيق التفكير بنصبِ ذاتها على حافةِ عقلي الهين فتصب الذكريات والأحزان به صبًا.

حينها ليس أمامي سوى خيارين لا ثالثَ لهما، فإما الانسياق والرضوخ لأغلال التفكير و الغرق ببحر بؤسه اللُجي أو بالانشغال عنه باحتضان كتاب الله، وأسفًا ما لبس أن أفرغَ من ذكر ربي فيسلط إبليس أعوانه النجباء من الأفكار اللعينة ليذكرني ما أنسانيهُ الله من ألآم، فمن ثمَ تحكم تلكَ الأفكار اللعينة قبضتها على عنقي وما تتركني إلا لتبكيني، تاركةً

إياي محطمةَ الفؤاد مهمشةَ الأعماق مهشمةَ الروح فتارةً أنتصر عليها وأخرى تهزمني وهذا الأشد إيلامًا، فما اخرج من تلكَ المعركة ناجيةً أبدًا.

تالله ما وجدت ترياقًا له إلا ذكر الله والتقرب له عزَ وجل، فحينما يسير المرء بهذه الحياة هائمًا على وجههِ بلا وجهةٍ، تاركًا دفةَ سفينته تتخبط بصراع عنيفِ بطوفان الحياة، فتلقي بها الريح ذات اليمين وذات الشمالِ، فلا وجدت وجهتها ولا وطئت أرضَ مقصدها وإن حدثَ و وصلت سالمةً فستظل هائمةٍ متخبطةً.

ومن ثمَ يقذف عزَ وجلَ بقلبي وعقلي أمنًا، فيهديني لبعثرةِ سمومِ أفكاري على وريقاتي فأمسكَ بقلمي لينفثَ مداده على الورق ليكونَ ترياقًا لذاك السم المستعصي المدعو بـ"التفكير"، فمن ثمَ أرثيني لأوراقي فتنشعَ عني أفكاري السامةَ لتنتشلني من غيابة الحزن لتلقيها بغيابة الجب، فحسنَ الهبةُ وحسنت مُرتفقًا.

"تحتَ تأثير النيكوتين"

سيجارة، أو أسطوانةٌ ملتهبةً في فمِ أحدهم تثير فضولي للغاية، لربما أنا فتاة لكن فضولي يقتلني لأعلم لما صاحب هذه القاتلة الأسطوانية الشكل متمسك بها هكذا، أو لما يستلذها دائما ولا يقوى على العيش بدونها؟

أجل علمت جواب سؤالي، إنه النيكوتين، قاتلٌ صامت، "كما أسميهِ"، ما إن يستوطنكَ عن طريق تبغ سيجارةٍ أحرقها فمكَ، وزَفرتها أنفاسكَ يتغلغل بين خلايًا جسدكَ ليشعركَ بالنشاط لفترة من الوقت، لكن مع تلاشى هذا التأثير، يزيد الشعور بالتعب وترتفع الرغبة فى تناول كميات أكثر من هذا المدعو النيكوتين، ولهذا السبب يجد البعض صعوبة فى الإقلاع عن التدخين.

إنني ألقبها دائمًا بعملية انتحار لاشعوريةٍ صامتة، قاتلٌ يتسرب لجسدكَ وقد صارَ ساريًا بجميع أعضائك.

ودائمًا ما أقول أن نفسًا جديدًا من النيكوتين يضاهي خطوةً أخرى نحو الموت، "ما بالهم الكثيرين غافلون عن هذه الحقيقة المُرة ويتمادون في التهام المزيد من هذا اللعين.

أهلا بكَ عزيزي القارئ معنا "بنادي النيكوتين العالمي" بقراءتكَ لهذا النص فـ أنتَ من فتاةٍ لا تعي شيئًا بهذا الموضوع لكنها تحاول سردَ ما يجول بأعماقها فحسب، مرحبا بكَ، هلم بنا نكمل جولتنا.

في الكثير من الأحيان ما أرى بعض الرجال أو معظمهم يحتضنون عُلب السجائر معهم أينما ذهبوا، وفي بعض الدول الأوروبية تجد النساء أيضا، لا يهم هنا، ما يهم أن صاحب الحالة الأولى التي سأذكرها يدعي أنهُ

"موقدٌ محترقٌ لأجلِ تدفئةِ غيره"، لا بأس إنها حقيقة فغالبًا ما يكون هذا الشخص مُحاطًا بالعديد من الأشباح التي تحوم حوله، وأعي بالأشباح هنا أحواله المعيشية من محاولة جادةٍ لتوفير متطلبات العيش لأهل بيته، يستيقظ باكرًا ما إن يبزغ ضوء الفجر ليجوبَ الأرضَ من شرقها لغربها طلبًا لقوته، إن ظفُرَ بهِ يتخذ من النيكوتين مُلهما ليحمل عن كاهلةِ جُل متاعب يوم عملٍ شاق، ويكأن النيكوتين خليلٌ له يقاسمهُ بؤسه، لا أدري فلم أُجرب من قبل، لكن أعي أن الآباء تُكابد الكَبَدَ لأجل زوجاتهم وفلذةِ أكبادهم.

فلنعد هنا، وإن لم يظفر بقوتهِ، يلتجئ إليه مدعيًا أنه يحسن مزاجيته، ويصلح ما أفسدته به الحياة، ليس عدلًا أليس كذلك؟

هنا يدعي صديقنا بكلتا الحالتين أن السُمَ الذي ينفسهُ من عُقب سيجارته بقادرٍ على جعلهِ يواصل طريقهُ فى هذه الحياة العثِرةِ.

وهنالكَ من يجدها مفرًا من الفقر، ومن يجد أمواله فاضت عليه فيسرفها على شيءٍ ثمينٍ مثلها على حدِ قول البعض."

أسفةً جدًا سيدى أعلم أنني أطلت لكن هنالكَ حالةٌ أخرى، تسرى بجسدي قشعريرةٌ لا أعي مصدرها عندما أجدٌ طفلًا صغيرًا لم يتجاوز الحاديةَ عشرةَ من عمرهِ يدخن قاتلةً مثلها، لربما يُقلد الكبار، و لربما فضوله يدفعهُ ليعلم مذاق هذا الشيء الاسطواني الملتهب بأيدي الكثيرين، _ كما يدفعني فضولي الآن_.

هنا تتجسد هذه الحالةُ بمرحلة المراهقة، شابٌ يافعٌ بالكاد لم يتجاوز عقدهُ الأول من العمر، شابٌ لم يتجاوز العشرين من عمره، فـ عمر الزهور كما يقولون.

يرى البعض فـ هذه الفترة أنهم تحرروا من أغلال والديهم، أو بالأحرى لم يعد يتدخل الوالدان بأمورهم، فقد رفعَ الشباب عنهم الحرج، أجل فصديقنا هنا بقادرٍ على الذهاب لجامعتهِ دون الحاجة كأس الحليب الطازج كل صباح، أو ليس بحاجةٍ لنصائح والدته عن كيفيهِ عبور الطريق، أجل فببلوغه هذا المبلغ من العمر جعله يضرب بكل هذا عرضَ الحائط، يستطيع السهرَ حدَ منتصف الليل، أو بعدَ أذان الفجر، غير عابئ بتحذيرات والديه ألا يتأخر عن الثامنة مساءً، يستطيع أن يتركَ البيت بالأيام والشهور دون أن يبدي سببًا مقنعًا، العديد من الأشياء أهدرت، لكن ما علينا.

إذا خاطبه أحد والداه أو حدثاه بأمرٍ من هذه الأمور، فسيجهر بصوته قائلًا: "أنا لستُ طفلًا دعاني وشأني، إنني قادرٌ أن أحمل مسؤولية ذاتي" هذا أبسط ما يُقال أليس كذلك؟

هنا لا تعاني هذه الفئة أيةَ ضغوط، أو لربما ضغط الدراسة.؟ ليس مبررًا، هنا الدافع لتذوق مذاق هذا السم هو التجربةُ كما ذكرت سابقًا، أصدقاء السوء لهم دورٌ فعالٌ هنا، تلكَ الأسطوانة الملتهبة بين راحتى صديقة تثير فضولهُ و تجذبه ليتذوقها، وياله من مذاق الحنظل.

وهنا تذل قدمه ويسقط بالوحل.

حقيقة الأمر أن كل هؤلاء الذين لطخوا ذاتهم بوحلٍ رُبٍ أناس أسوياء، غير فاقدين لعقولهم، لكن تراودني العديد من التساؤلات حيال هذا، إن كانوا أسوياء كيف يهدرون أموالهم لأجل سعادةٍ مؤقتة؟

كيف يخون الأمانة التى حملها الله إياه وتعمي بصيرته قبل بصره، لقد أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وحملها الإنسان لكن وأسفى كان بها يؤسًا جهولًا، كيفَ تطعمُ بدنكَ السمَ هكذا؟

كيف لكَ فـ كل مرة تبتاع بها علبه سجائرَ وتقرأ ذاك الشريط اللافت، الذي يحضكَ عنها قائلًا: احذر التدخين إنه يؤدي للوفاة، في الواقع إنه

يثير ضحكي، يصدرون لكَ السم ويحضونكَ عنه، لكن وأسفاه قد فات الآوان.

عزيزي المدخن هل لي أن أسألكَ سؤلًا؟

لما يصيبكَ الحزن عندما تمرض؟ أليس بما قدمته يداك!

أيعقل يا رجل أن تحزن لمرضكَ، ولا تحزن عندما تسعى للمرض بقدماك.!

عزيزي، بعد كل هذه الخسائر الفادحة ألم يئن الوقت بعد لتحافظَ على مابقي من رماد جسدكَ المتعب..؟

يؤسفني أن أقول لكَ أنه ليسَ لديكَ سوى خيارين، أعلم أنكَ تعلمهما جيدًا، لكن عليكَ أن تتقبلهما كما تتقبل مُر القهوة، الأول أن تتركها لأسباب صحيةٍ أو مادية، أو لربما يهديكَ الله وتقوى على ترويض نفسكَ ومن ثمَ تتركها عن اقتناع.

الثاني:_ ويؤسفي ذكره جدًا _ هو أن يترككَ هو وتفارق الحياةَ لقدرَ الله، هنا سوف يدرج أحدهم فـ قائمة المنتحرين الحمقى الذين أنهوا حياتهم بأيديهم.

"عودة"

مرحبًا قارئي العزيز، لم نلتق منذ زمنٍ أعي ذلك، اعذرني أطلت الغياب، لكن ليس باليد حيلةٌ أبدًا، فـ أنا لم أعد تلكَ الكاتبة الشغوف التي اعتدتها، لقد انطفئت عزيزي، تائهةٌ بي لا أدري لي من سجن ذاتي بمخرج.

هذي ذاتي، ليست بصحراء قاحلةً وليست بأرضٍ نابتةٍ، ولم تكُ نهرًا جاريًا أبدًا، هي فقط طوفانٌ من الدمع والخذلان طغى على أوداج روحي وأودعها للظلام.

لقد كان قلبي منعًا للنور فصار يموج بالعتمة الحالكة، وها هو بائع الضياء إنطفأ يا عزيزي، أقف فـي المنتصف المميت بين العودة والتراجع، بين الصفح و العتاب، بين الحياة والموت، لكن لا مفر سأصير غريقةَ طوفان الخذلان، سأكون شهيدةَ تلكَ المعركة المريرة..

كنت مزهرةً وها هي زهوري قد ذبلت، حلَ الخريف الأبدي علي منذرًا برحيل الربيع إلى بارئه، شجيراتٌ كانت مثمرة، باتت مُشيطنةً، كما الأشباح أو أكثر حفيفًا، فراشاتي الملونةُ باتت طيورًا جارحةً لا حبَ بقلوبها ولا شفقة.

سجنٌ لعينٌ وقعت بأسره ولا مفرَ من الخروج منه بدون خسائرَ فادحة فـ الأحبة و وجهات النظر الطيبة، فقد فقدت ثقتي بالجميع.

دقت الساعة الثانيةَ عشرةَ بعدَ منتصف الظلام والبؤس، لتعلن توقف عقاربها عن التحرك من جديد ذات اليمين أو ذات اليسار، فقط تتحرك لـ ذات الهاوية، فهل أجد لي من هاويتي بمنتشل!

أقف شامخةً بغض النظر عن انكساري، أطالع نافذة أحلامي للعالم الخارجي، عالمٌ ورديٌ من نسج مخيلتي أأمل الخروج إليه بأقرب وقت، سماءٌ صافيةٌ عوضًا عن سمائي المضببة (المليئة بالضباب)، نجومٌ سرمديةٌ تحلق بسمائي عوضًا عن انطفائي، وقمرٌ وهاجٌ يقشع الظلمةَ ويطارد ضياؤه أشباح الظلام ليبعدها عني، غيثٌ ينزل علي من السماء لينقني من خطاياي.

حسنًا أيها الهائم بأحرفي أعدكَ بالتماثل للأزهار في أقرب وقت، فقط ادع الله لي، فمن أحبَ شخصًا ذكره بدعائه خفيةً ليل نهار، ألا أمثل لكَ فارقًا، أم أنني مجرد متلاعبةٍ بالأحرفِ ليس إلا؟

"إليها"

إلى صديقتي التي لديها من الأصدقاء ما يُغنيها عني:

عزيزتي اعلمي أنه لكِ بقلبي من الحبِ بقدر خيبات الأمل التي تملكتني بسببكِ، بقدر الخذلان، بقدر الأوجاع والآلام.

كان لكِ بقلبي مضجعٌ لم يمسسه سواكِ إلى الأن وأعدكِ إذا ما عُدتِ لن تجدينه منقضًا كما عبثتِ به ورحلتِ بل ستجدين أعمدته مُقامةٍ بإنتظار عودتكِ الحميدة، عزيزتي بالرغم من هذا كان للجميع مضاجعُ بقلبكِ عداي فلم أجد لي متسعًا كـ ثقب إبرةٍ حتى.

أتسمحين لي برجاءٍ أخير..؟

لا تشاطري أصدقائكِ الآخرين أحزاني التى بعُهدتكِ بغرض الشماته، فلا زال قلبي لأحزانكِ حافظًا.

لا تُطلعيهم على نقاط ضعفي فقد كُسرت بما يكفي ولم تُجبر كسوري حتى الآن.

نهاية اعلمي أنَ أصدقائكِ أولئكَ يمتلكون من الأصدقاء غيركِ وسيفعلون بكِ مثلَ ما فعلتِ بي وأكثر، حينها لن تجدي مفرًا من العودة إلي، لكن هيهات أوتحسبينَ أنَ المؤمنَ يُلدغُ من جُحرٍ مرتين!

"احترق وحدي"

أنا هنا وحدي في صميم صراعاتي وذاتي، هنا أناضل وأقاوم للبقاء، تشتعل بداخلي نيرانٌ وبراكين ثائرة، تأكل جسدي وتُفني روحي، لازال الثبات يحيطني من الخارج، لكن أعماقي على النقيض تحترق، هنالكَ بقايا رمادٌ محترقٌ من الذكريات والبشر، قل لي بربكَ كيف للمرء أن يمضي قُدمًا بطريقةِ والحياة قد أثقلت كاهله بألآمٍ لا يقوى على حملها وحده، يحمل بين ثنايا روحه العديد من المشاعر المهترئة البالية، ولا شيء سيقوى على إعادته كما كان، لأشيء أبدًا.

المؤسف في الأمر أنه لا أحد يعلم بصراعات المرء وذاته سوي ذاته، أجل فـ الجميع هنا فـ انتشائةٍ وسعادةً، يتأرجحون بين البهجةِ والبسمة، المؤسف أن الجميع يظنني بخيرٍ وأنا على النقيض تمامًا، وأنّْ لهم أن يعلموا ما ألم بي وأنا من يتبنى بؤسي هذا، لم أقوي أبدًا على البوح، وأظنني لن أقوي، فلن أقبل أبدًا أن يصلح أحدهم ما أفسده غيره بي، وهل إن علم أحدهم سيقوي على بناء أنقاضي من جديد، أم سيعيد جدران قلبي المتهدمةُ كما كانت..؟

لا أقوي على البوح كما أنني لا أقوى على رؤية نظرة الشفقةِ بأعين من حولي تجاهي، لا أقوي على رؤية ابتسامة النصر أيضًا بأعين الحقدةِ أيضًا، لذا يا رفاق أفضل أن أحترقَ وحدي.

"أرواحٌ مُنهكةٌ"

إنني لم أبكِ على أحدٍ فارقني طيلةَ حياتي، دائمًا أقفُ بشموخٍ لأودعَ قطارَ الراحلين، يظنونني لا أُبالي لكن واقعُ الأمرِ أنني بالي، أرتدي قناعَ الثبات ولكن واقع الأمر أن بداخلي بركانٌ ثائرٌ ما إن خرجت بوادره ستُفنيِ جميعَ ممن حولي، لازلت أصارع لرسم إبتسامةٍ لكنها تخرج خاليةً من جميع صُنوف المشاعر، ملامحُ وجهي الباردة تخفيها ضماداتٌ بالية، يداي تلوحُ بأن وداعًا وقلبي يئن ولا يجب أن يستمع أنينه أحد فينفضحَ أمر ثباتي، تنتابني رجفةٌ بأعماقي لا يسمعُ حسيسها سواي، أحاول جاهدًا إخفاءها، وانزوي بركنٍ مظلمٍ لأختلي وتلكَ الموجات المتلاطمة من الخذلان التي تغتالني وتحكم قبضتها علي ببطء مُخيف.

هنالكَ العديد من الأفكار السوداوية تلتف كـ الأفعي حول عنقي، وتهمس بخبثٍ في أذني بأن من رحلوا لن يعودوا مجددًا ولو لوهلة، ولن نلتقي بهم أبدًا بمفترق طريقٍ يتلاقا به كل من كان عزيزًا، فأجد العبرات تنساب من عيني كدماء قلبي الذي طُعنَ حتى خرَ صريعًا، هنا أنا بأمس وقتٍ ليدٍ تربت على قلبي وتجفف دمعي عساها تكون ضمادًا لجراحي، لا أحد يدرك أنه خلفَ تلكَ الملامح الباردة القاسية شخصٌ يرتجف خوفًا من أن يقضي ما بقي له من العمر وحيدًا كما قضى ما مضى مخذولًا موهومًا، يقف على ناصية رصيف الهجر يودع. ويرثي الراحلين ممن تركوه، لازال يشتاق إليهم بصمتٍ خوفًا من أن ينعتوه بالضعيف لو علموا ما يُكنه من مشاعرَ واهية.

كـ الحب، المعاناة، الخوف، الحنين، الإشتياق، والكثير والكثير، لا أدري لما ينعتون الشاعرَ بهم بالضعيف، لربما سذاجةً من حمقي أمثالهم لأنهم لم يدركوا وقعَ الأمرِ على أرواحنا.

وأما أرواحنا فأرواحٌ مغتالةٌ من قبلهم بحجة أنهم هكذا سيجعلنا أكثر جاهزيةً لمواجهة صعاب الحياة، أُناسٌ حمقي ذوي قلوبَ متحجرةٌ، يخلقون منا قلوبًا تنزف بحرقة ووجوهًا ذات ملامحَ مرهقة عابسة خاليةٌ من أي تعبيراتٍ أو مشاعر، تسقط أقنعة قوتها عند أول معركة وإن ظل كبرياؤها يقاوم لئلا تسقط، فيصبح الأمر مجرد وقتٍ يسبق السقوطَ الأعظم.

لكن تالله إن إغتصاب القلوب الطيبة ونزع مشاعرها المسالمةِ وبث الخبيثة عوضًا عنها لن يدوم أمدًا طويلا، فكما نعلم جميعًا أن الإنسان ضعيفٌ بفطرته تستهويه أبسط الأشياء لكن غرورة يعميه عن الحق.

أنا أمام ناظركم الأن شخصٌ خالٍ من كل مشاعر الحياة، ولكن أمام ذاتي أنه الحياة ومنبعها ولازال متمسكًا بأخر خيطٍ من خيوط رحمة ربه لينجو من تلكَ المأساة.

"في زمن الكورونا."

اجتاحتنا الكثير من الغصص والهزائم، لحقت بنا الندوب والجراح والخيبات، لحق بالبلاد الكثير من الأوبئة و الأمراض، طاعونٌ جديدٌ يطغى علينا، وحشٌ كاسرٌ غزا العالمَ بأسره لا يدري له مصدرٌ ولا يعلمُ أحدٌ من أي رحمٍ خرج، البعض يدعي أنه مخلقٌ جينيًا بيد البشر، أجل البشر فقد ظهرَ الفسادُ فـ البرِ والبحرِ بما كسبت أيدي الناس، بما قدمت أيديكم فـ حاشاه ربي أن يظلم أحدًا، هنا وُضعَ الحق كل الحق عليهم، دولٌ كبري أقوياء العالم، يطوقون الإفناء جميع الدول التي تعيش على أملِ الترفعِ والعيش بسلام، أجل فهم أعداء السلام فينقضون عليهم بشتى السبل كـ انقضاض الوحشِ على فريسته، ولو كان ما يدعونه من أمورِ مولدِ هذا المدعو(كوفيد_19) حق إذا أينَ الدواء أحبائي، بل لما أصابهم الوباء أيضًا، إنهم ليسوا بكل تلكَ السذاجة ليقدموا على طوةٍ حمقاء كهذه، أو لربما كانَ ما تدعونه صدقًا أعمى الله بصرهم وبصيرتهم، وأنزلَ عليهم جنودًا لن تروها كهذا الوباء تماما، فـ(كوفيد _19) ليس فقط وباءً بل إنه أحدُ أرواح الله ألقاها إليكم، ليرى أتصبرون أم تكفرون.

مرحبًا بكَ عزيزي القارئ بنادي(كوفيد_ 19) العالمي، بقرأتكَ لهذا النص فقد إستلمتَ بطاقةَ دعوةٍ للإطلاع على بعض وجهات النظر المنبثقةُ من مداد قلمي لكن واقعًا أنَ ميمَ القلمِ صارت باءً وقلبي متوجسٌ لما نحن عليه.

عزيزي، أسمعتَ من قبل عن جائحةٍ كهذه..؟

لربما لو كنتَ بعمر جدي _ رحمة الله عليه _ لاخبرتني أنه كان هنالكَ ما يدعي بـ " الكوليرَا"، "الطاعون"، "السارس العظيم" كل هذا قد سبق من قبل، فلما الرعب لقد قُشعت ظلمة كل ما ذكرته، لكنها لم تتبدل إلى نورٍ عبثًا، بل عندما عزمَ البشرُ على تطهير قلوبهم والتعاون فيما بينهم لمجابهتها.

سمعت أحدَ الأطباء يقول أن الكورونا أو(كوفيد _19) ما هو إلا بضعٌ منهم، إنه بجوار كل تلكَ الموبقات لا يضاهي شيئًا، لكن البشر من حولوه لموتٍ محتومٍ وكارثةٍ حلت على رؤوسنا جميعًا، فقط بجهلهم للأمور، وعدم وعيهم باحتياطات الوقاية، ما علينا جميعنا نخطئ.

جميعنا فـ سوق المتطوعين، أجل سوق المتطوعين لمحاربة الوباء.

دعني أخبركَ كيف..!

الناس ما عليهم إلا أن يلزموا بيوتهم، أتعرف تلكَ العبارة التى صارت تثقب أذاننا ليل نهار من المذياع أو التلفاز "اقعد فـ بيتكَ"، أن يتجنبوا التلامس بالأيدي وتبادل القبلات والعناق، وأيضًا حاول البعض إيصالها بشكلٍ ساخر لانَ معظمنا يتجاوب لهذا النوع واجتاحت عبارة " مش هنسلم مش هنبوس مش هننشر الفيروس" شوارع وأزقة القرى والمدن، لكن وأسفي أخذها البشر كنوعٍ من السخرية وتغنوا بها فـ مجالسهم ولم يفكروا ولو للحظةٍ بتطبيقها. لن يتغير البشر، لن يتغيروا أبدًا.

المستشفيات بحالةٍ يرثي لها، والأطباء يسقطون كل يومٍ صرعى بخنجر ذاكَ المدعو (كوفيد_ 19)، إنهم ملائكةٌ متجسدون ببشر، يواجهونَ الخطرَ لأجلنا وبنهاية المطاف إذا ما لقي أحد منهم مصرعه يسب ويقذف بأقبح عبارات السب واللعن، ويعترض الجميع على دفنه بحجةِ خوفهم من تناقل المرض، لقد إستقال بعضهم لعلمهم أنهم سيخرجون من تلكَ المعركة خاسرين لكرامتهم، أو ستزهق أرواحهم فداءًا، لأناسٍ لا يقدرونَ مجازفتهم أبدًا، لا يطفأ لهم رمقٌ ولا يغمض لهم جفن.

يحملون على عاتق قلوبهم، حتميةً سلامة أهل الأرض جميعًا، وياله من حملٍ جُلَ ثقيل، يكاد يقطم ظهورهم.

ولا أحدَ يقدر هذا، ولن تجدَ لسنة الله تبديلًا، لابدَ من تقديم أرواحهم على طبقٍ من ذهبٍ فداءً للبشرية جمعاء.

عذرًا عزيزي القارئ أدري أنني أطلت، لكن أريد أن أسدي نصيحةٍ من فتاةٍ عابرة، جل أحلامها أن تصيرَ أحدَ الملائكةَ المسخرين لخدمة المرضى مثلهم "طبيبة".

لما لا نتكاتف معًا ونصيرَ يدًا واحدة، أليسَ الاتحاد قوة..؟

أين العلم، المعرفة، المال، القوة والبأس..!

مهلا أترى أنَ البشرَ لا يرتدعون ولا يتعظون، وفـ كل ما يحيط بالبلاد من أشباحٍ مغرضةٍ كهذه لازالوا يشعلون نيران الحربِ فيما بينهم، لازالوا يتقاتلون ويسفكون الدماء، تالله لن يذهبَ ما بكم من حزنٍ إلا عندما تتقوا والله وتعودوا أدراجكم، قوموا أنفسكم و روضوها على طاعة المولى عز وجل.

أوبئة القلوب أشد بأسًا من أوبئة الشعوب، داووا قلوبكم قبل أن تبحثوا عن دواءٍ لداءٍ لعين.

"أشياء بلغت من الكبر عتيًا"

أتعلم يا صديقي أنني أعشق الأشياء العتيقةَ جدًا، فـ كل ما هوَ عتيق أهيمُ به كما الغريق، كل تلكَ الأشياء التي بلغت من الكبر عتيًا ولكنها تظل بعيناي وليدٌ مفعمٌ بشتي صفات الكمال والجمال، تباركَ الخالق البارئ لهذا الجمال الأخاذ.

مرحبًا بكَ عزيزي القارى بنادي كل ما هو عتيق وبالغٌ من الأثريةِ ذروتها، بقرائتكَ لهذا النص فقد استلمت بطاقة دعوةٍ للإطلاع على بعض بداعِ خلق ربكَ التي برغم بلوغها مبلغَ العَتقِ لازالت بعيني شابةً يافعةً.

أنا عزيزي القارئ فتاةٌ شغوفٌ بالأشياء القديمة، تلكَ الأشياء التي لها جوانبُ ناعمة برغم قسوة الزمان عليها، تلكَ الأشياء تأسر روحي وتخطف قلبي فيصير أسير جمالها المُفرط، وتتشبث بها جميع حواسي فتنتابها إنتشائة لذةٍ بما لديها من سحر، ومن ثمَ تعلق بجدران روحي وتتعلق بها عيني، فأصير مسلوبتها حدَ النخاع.

كـ لوحةٌ رسمت لفتاةٍ لم تتجاوز العاشرة من عمرها ولكَ أن تتصور كم مرَ عليها من العمر فصارت اللوحة تنم عن جمالٍ دفينٍ بين طياتها.

أو كـ كتابٍ عتيقٍ يلتحفُه أحد الأرففَ القديمة، كتابٌ لو خيرتموني بينه وبين كنوزِ الأرضِ جميعًا لفضلته عليها، جال كرحالٍ قلوبَ الناس جميعًا وعاش عُمره متنقلًا بين راحتي أيديهم حتى بلغَ من الكبرِ عتيًا، فمن ثمَ جاء الزمان بأثآره عليه، فرسمَ لنا على صفحاته لوحاتٍ فنيةٍ بلونٍ باهتٍ مميز ليجعلنا نعي أنه قد عَتُقَ و صار أثمن ما يمكن اقتنائه.

أو كـ تلفازٍ قديمٍ كذلك الذي كان بحوزةِ جدتي، وإقتنته أمي حبًا له لأنه كان أول زائرٍ لبيتهم من هذا المعشر، ذاك التلفاز الصغير الذي يبث مسلسلاته العتيقةَ بلا ألوان فقط لونين الصبا والشيب، الأبيض والأسود.

وخذ مثلا قدحَ قهوتي الذي تركت به القليل بعدَ إحتسائهِ ليلةَ أمس، أرتشف منه رشفةً لأجده باردًا فقد طبعَ الوقت والليل ملامحهما عليه، وأتلذذ بمذاق الوقتِ وأثار الليل لا القهوة فحسب.

أو كـ سيدة عجوزٍ ذات خصلاتٍ بيضاءَ كأول خيطٍ من خيوط الفجر، ويداها الجميلتان التي تبدو ويكأن الزمانَ حفرَ بها كل السبل التي سلكتها منذ مولدها، أما عن وجهها فـ كالبدر المنير لم تنقصة التجاعيد جمالًا بل زادته فوقَ الجمال جمالًا، كلُ خطٍ بهِ يروي روايةً كانت هي بطلتها الوحيدة وليس سواها، وما قولكَ بصوتها عزبٌ كصوت البلبل ما إن تسمعه يُطربكَ، بل ويكأنَ أحبالها الصوتيةَ عازفٌ ماهرٌ يعزفُ على سيمفونيةٍ عتيقةٍ مُهملٍ لم يلقي أحدًا بالًا لموهبته النادرة.

أو كـ حضرتِ بيتٍ قديمٍ مُتهالكِ من شدة ما تعاقبت عليها الأزمان، يُخيل إلي من بهائها أنها حيةٌ تسعى، وتسمعُ وترى فأراني الله بروعتها آياته الكبرى، فصدقت وما عصيت أبدًا، سبحانكَ تباركَ ما خلقت.

أسفةٌ عزيزي إندمجت بخيالي فتناسيت ماحولي، لكنني أسيرتها ولا أجد مخرجًا من أَسَّرها ولو وجدت لما أردت التحرر أبدًا.

والآن هَلُمَ بنا هكذا فلتنصت معي لمخيلتكَ ولو لمرةٍ ودعنا نغرق في بحور الخيال حدَ رفضِ العودة للواقع، تخيل معي ذاك المشهد الذي يخطف القلوبَ والألباب فـ يجمع كل هذا الجمال الخاطفِ فـ آنٍ واحد.

بيتٍ عتيقٍ تصدعت جنباته وعمَ الغبار المُعَبقِ برِيحِ الزمان خلجاته ليسرد لنا بدوره كل تلكَ الفصول السعيدة والحزينةَ من تلكَ الرواية التي شهدها أهلوه، وتلكَ اللوحة المُعلقةُ على جداره لتضمَ عددًا من أفراد عائلته فـ الصغر لنرى كم مرَ من العمرِ وما بقي، تناثرت أثاثاته القديمة هنا وهنالكَ، تتوسط إحدى غرفهِ القديمة عجوزٌ قد بلغت من الحُسن عتيًا، كانت تتابع أحد المسلسلات الخالدة على شاشة تلفازٍ رشيد، ومن ثمَ أمسكت بأحد الكتب العتيقةِ لتصيرَ أسيرةَ حروفِ كلماته الحكيمة، يتوسط أحد الجدران لوحةً لها بمطلع عُمرها لتخبرنا أنَ الشيبَ ما زادها إلا حُسنًا وهيبًا، ومن ثمَ تناسيت قدحَ قهوتها العتيقَ بجوارها ليتبقى به بعض الرشفات الباردة، ولندعها فيما بعد تخبرنا عن مذاق الزمان بعدَما نالت شرفِ احتسائه.

ذكريات مؤلمة"

ها أنا هنا بذات الحال كل ليلة، أُجالس نافذةَ غرفتي الهوجاء، أطالع من مقلتيها السماء، صرت أُمعن النظر لكي أجوب أزقة قلبي المظلم، متخذًا من شعاعِ الأمل الوهاج ذاك دليلاً، إنه ينير الأرجاء، ويمد للكون الضياء، فإذا به قدَ انطفأ من هول ما رأى من ظلم شديد، صار الظلام يخيم على جنبات الفؤاد العليل، وبينما كان الزحام يتخبطني، فيلقي بي على قارعة الطريق، تارة ويلقيني في وسط الهوجاء تارة وكأن العيون لا تعى والأعضاء تتألم بصمت دفين والجسم هزيل ضعيف لا يقوى حتى على محو ملامح البؤس هكذا كانت رحلتى محفوفة بالمخاطر غنية بألم قد عصر الفؤاد حسرة وندم تلك حياتي وهاهي مذكراتي بل جزء وجيز منها أسردها وقد انتابني إعصار من الأوجاع التي لا تهدأ ولا تسكن أبدا وكأن المحيط قد أرسل لها برقية من الأمواج الصاخبة التي قد تضعنا على الشاطئ وسرعان ما تلقي بنا في الأعماق فلنا الله، لنا الله ولا أحد سواه فـ الجميع رحلوا.

ها أنا قد عدت بعد لقاءنا الأخير وكأنه لا شيء يتجدد سوى اللقاء لم تعد الذاكرة تعي الكثير فيبدو أننا على وشك الرحيل.

تتهافت نفوسنا إلى ذلك الجزء المظلم من حياتنا وما صنعنا بأنفسنا وما أودت به أعمالنا من ألمٍ وهوان، صار القلب سجين إحداهن والعقل لا يكف عنها التفكير.

تباً لذاك الغباء الذى جعلنا نركض وراء محبٍ زائف وكأننا لا نستطيع العيش بدونه ونترك سر سعادتنا لأجل البحث عن عنوان تعاستنا وكأننا لا نشتهى غيرها من فرط السعادة التي تغمرنا وكأننا أحببنا الخوض فى تجربة من الآهات، والصرخات، ويكأننا نرثي التاركين ونشكرهم، وكأنه

لم يتبقى هناك وسيلة للشكر إلا تجرع الألم والأنين والحرمان والانعدام التام لنبع الشعور بل صار منبعًا للآلام.

أجل فقد أذبلتنا الحياة، وقضَّت على كلَّ ما هو جميلٌ بنا، صرنا على شفَا حفرةٍ من الآلام والهلاك، بل أصابنا من الذبولِ مسٌ كان له الفضل فـ بَهتاننا، أترين تلكَ النباتات الذابلة، كنا نرويها بدماء حبنا، وكانت تثمر ثمار ودنا، لكن الآن انقلبت الموازين، وصار كل شيءٍ على النقيض، يعز على أن أخبركِ أنني لازلت أنتظركِ، وأسهر الليالي فـ ذكركِ، وكاذبٌ أنا إن ادعيت نسيانكِ، فـ كلما أتماثل للنسيان تتدخل تلكَ الخفقات والنبضات اللعينة لتذكرني بجحيمي مرةً أخري.

أقسم لكِ لئن عدتي لأصفح، سأظل متشبثًا بكِ تشبث الأم بوليدها.

أتدرين أنني أكره النهار لأنه أخذكِ مني، وقاع البحار جذبكِ بعيدًا عني.

لكنني لم أنسى بهجتك فبالرغم من مفارقة الحياة إلا إنكِ لازلتِ تترعرعين بين جنبات فؤادي، ولازال ذاكرًا لكِ مخلدًا لذكراكِ، فها أنا يا عزيزتي أعدكِ باقتراب موعد اللقاء، وإن غدًا لناظرةِ قريب.

"محادثة عابرة"

لا أدري كيف للمرء أن يقع فـ الحب من خلف شاشة جواله، كيف للمشاعر أن تنتقل عبر الإنترنت، كيف أن يتيم شخصٌ بأخر من خلال محادثةٍ إلكترونية، كيف لمحادثة إلكترونية بين شخصين أن تكون وطنًا ومأمنًا؟ بل أوكيف أن تكونَ طوقَ نجاةٍ أو أن تكونَ حافةَ الهاوية؟

بل كيف لرسالة واحدة أن تجعلكَ تصعد للسماء السابعة، أو أن تسقط بالدركِ الأسفلِ من الحزن؟

أحيانًا ما يكون خلف كل هذا العديد من الوجوه المنافقة، وأحيانا ما تكون زيفًا؟

وفـ بعض الأحايين ما تكون مأوى لشريدين تشبثا ببعضهما.

لربما المحادثات الهاتفية أقل واقعًا منها فنبرة الشخص لربما تعبر عن حاله.

أحيانا ما يوهمك الطرف الآخر بسعادته ومبسم محياه، لكن واقع الأمر أن قلبه يعتصر ألمًا وحزنًا، وفـ ذات الحين لربما تجد أحدهم يوهمكَ بأنه غارقٌ بيمٍ من الحزن والهم وواقع الأمر أنه يلهوى ويلعب بغير حساب، بل لربما تجده فـ أبهي صور الانتشاء والسعادة، أحيانًا ما أُلقب مواقع التواصل الإجتماعي بنادي "الكذب العالمي"، لأن الجميع يتحدث بما لا يجول بخلجات قلبه، يحملون الكثير من الزيف والخداع.

وبعضهم يرتدون عباءة الواعظين وما هم إلا فاسقين.

لذا تظل المحادثات الهاتفية أكثر صدقًا، فلربما تلتمس الحزن بنبرة صاحبها، العديد من الشهقات المتتالية إثر البكاء، دموعٌ تلفح وجه

محدثكَ فتستشعرها بين طيات كلماته، تظل الحقيقة المُرةُ التي لن يتقبلها الجميع، أن الحب الحقيقي هو الذي يقطن أرض الواقع، عندما يتلاقى الخليلان، الحبيبان، القريبان معًا، حينها لن تكون المشاعرُ كاذبةً أبدًا، وحتى لو حاولوا إخفائها فستفضحهما نبضات قلبيهما، أعينهما الزائغة الدامعة فرحةً باللقاء، وجههما الذي تكسوه حمرةُ الخجل، أناملهما المرتعشة، كل هذا يجعل الواقع أبهي من محادثةٍ عابرة.

"رِثاء للأحياء"

أكتب هذه الكلمات الآن بقلبٍ باكٍ ناحب، وليس بقلمٍ عالمٍ راحب، يأخذني الحزن بين طياته عندما أجد أخوان يتعاركان، أو بالأحري خان أحدهما عهد الأخوة وجار على الأخر، لربما هنا يتجسد الخذلان فى أكمل صورهِ وأوضحها، وليدانٍ من أمٌ واحدةٌ وأبٌ واحد، لكنهما صارًا كما الأعادي المواحد.

صعق قلبي من هول ما رأي وما قص له، نضب نبع عيناي وجف الدمع، وأطلقت العينان العنان للقلب ليبكي ويزيد نحيبه..

لماذا يطعننا أقرب الناس إلينا فـ ظهورنا، فتنزف قلوبنا، بل لماذا يحملون من البغض و الحقد الهوائل كزبد البحر، بل إنني لا أقوي على تحديد مقداره.

ماذا سيجني أحدهم عندما يرى بن أمه وأبيه صريع كلماته، و طعناته؟

وهل تبقت أخوةٌ هنا أم فنيت؟

أعلم جيدًا أن الدنيا لازالت تعج خيرًا ومحبة، لكنهم قطعوا أوصالها، بل قُطعت الأرحام أيضًا.

أم سيكون الوالدان اللذان يقبعان تحت التراب الآن بسرورٍ لحاله فلذةِ أكبادهم..؟

بالطبع الموتي أيضًا يشعرون بما يمر به ذويهم، وإما يكونوا فـ الدركِ الأسفل من الأسف والندم والحسرة، أو بأعالي الفرحة، لكن هنا سيتمكن منهم الخزي ويودوا لو يعودا للحياة ثانيةً ليردعو الظالم ويردوه عن ظلمه.

سحقًا فقلمي الآن ينزف ألمًا، وأبدل ميم القلم بباء، فـ القلب صار محترقًا.

ما بالها صحتكم أتتفاخرون بها، ألا تعلمون أن "المال والبنون زينة الحياة الدنيا"..؟

لا تستنزفوا كل هذا في الظلم والعدوان فـ والله وتالله لهو بقادرٍ على إذهابه بغمضة جفن.

ما بالها أوبة العالم احتلت زماننا؟

أتسألون!

ألم يقل سبحانه"ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس".

أجل بما قدمته أيديكم، فحتى الآن لازال الأخوة يتصارعون ويعيث القوي فيهم بنفس الآخر الفساد..

فلابد وأن يسلط عليكم أنفسكم، فاتقوا الله و اقتلوا تلكَ الأمارة بالسوء.

حسنًا فبالرغم من كل تلكَ الحروف التي نزفها قلمي إلا أنني عجزت عن وصف ذاك الشعور اللعين من الحزن الذي ينتابني جراء هذا.

سأترك لكم أنفسكم، وسأترك لكم الله، وله كتاب مبين به يحكم بينكم وبين ضمائركم.

" قبلَ مجيئكِ كنتُ مبعثرةً"

بالرغم من كل تلكَ العوائق والعثرات التي تواجه المرء فى حياته، وبالرغم من ذاكَ الكم الهائل من الطاقةِ السلبية التي يحملها بأعماقه، وتلكَ الندوب والجراح التي رسمت تجاعيدها على وجهه، ولربما أيضًا تلكَ المعتقدات الخاطئة التي رُسخت بعقلهِ وفِكرهِ لسنين طويلة، إذا تحدث لا يعي أحدٌ مقصده، تخرج من فمهِ الكلمات متلعثمة، إلا أنه هنالكَ رفيقٌ يفهمه ويرتب فوضاه، ويجعل جروحهُ وتلكَ الندوب تندملُ، صديق واحدٌ فقط كفيلٌ بزرعِ بذرةٍ مُهندمةٍ بجوف تربتهِ البور ويبثهُ طاقةً إيجابية، يكون وحدهُ قادرًا على تفهم مقاصدهِ الشريدة، وأيضًا يرسخ به من المعتقدات و الأخلاق مكارمها، يثبته بقوله لا تحزن إن الله معنا، فينزل ربكَ سكينته على قلبيهما، لأنهما تحابا فى الله يجتمعان عليه وإذا حدث وافترقا يفترقان عليه، يكون وحده قادرٌ على لملمةِ شتات أمره، ويأخذ بيده من قاع الذلات الذي أسقط نفسه به حدَ القاع، يقولون أن الصديقَ وقتَ الضيق لكنه هنا سيحارب الضيق لأجل خليله، ولربما يكون هو عوض الله الذي جاءه به سنينٍ عجافٍ من يأسٍ وقنوط.

وكما تعلم أن الصديقَ مرآه لصديقه، فقبل كل شيء لابدَ أن تعي من تخالل.

وهذهِ رسالةٌ مني لتلكَ الصديقة التي لازالت على العهد، بل لازالت تؤثر ذاتي على ذاتها

حديقتي المزهرةُ أنتِ والحاء صاد، فقبل مجيئكِ كنتُ على شفّا حفرٍ من الذبولِ، فتماثلت للإزهار بمجيئك، أجل عزيزتي فبالرغم من كل تلكَ التراكمات والتشتت الذي يجتاح الناظر إلى، وأيضا تلكَ الأفكار الغير مرتبة التي ينفر منها الجميع، إلا أنكِ وحدكِ كنتَ قادرةً على استيعابها واحتضان الشريد منها وهندمته، فسلام لقلبكِ الذي يحتضن قلبي، وسلام لسجيتكِ التي تبعث على شخصي المشتت الاتزان.

"لا تلومني"

مهلًا يا صديقي لماذا تلومني؟

أنا لست ذات الشخص التى كنتَ تعرفه، لقد فقدت ذاتي يا خليلي. لذا إعذرني إن لم تجد مني تلكَ الروح البشوشة التي اعتدها، فلقد كانت برغم بشاشتها تصدح في الآفاق هشاشتها، حتى أُغتيلت براءتها.

أعي أنَ الجميعَ فقدَ النسخة السعيدة من ذاته، لكنني فقدت النسخة السعيدة من روحي.

استنفذت طاقتي ولم أعد أقوى على خوض أي علاقة أيًا كان نوعها، تنتابني رجفةُ خوفٍ من الفقدان، ضاق صدري بهمومٍ مكتومه وأظنها ستظل تزاحمني لأجلٍ مُسمًا عند ربي، جفت ينابيع فرحي وتلاشت إبتسامتي، لا أدري ما بال قلبي الآن أصبحَ باكيًا؟

صرت أتجرع من كؤوس التركِ مُرَ الخذلان والفقد، جفَت أخر رشفةٍ من قدحِ الأملِ خاصتي، خارت قواي ونضبَ نبضُ ما بينَ أضلعي، وبالرغم من كل هذا البؤس لازال لدي أملٌ بالعودة.

روحي على شفّا حفرةٍ من الذبول، لكنني أعدكَ بالتماثل للإزهار من جديد، الخوف يقيد قلبي ويعتصره ألمًا، فـ يارب أبدل خوفي أملًا وأمنا، وعساكَ يا إلهي تَجبر كسرى، وأملي فيكَ يا بارئَ الروحَ كبير، ولعل بعدَ عجاف الرحيل سِمانُ لقاءٍ جميل.

" محضُ أكذوبةٌ"

عزيزي هدأ من روعك، من قال أن ذاك الذي يدعي محبكَ سيحبكَ فـ أشد أوقاتكَ حزنًا، هذه أكذوبةٌ صدقها العالم.

من قال أنكَ ستجد من يحب ذاتكَ حينما تكون لذاتكَ كارهٌ، سيراعون من ندوب قلبكَ ولن يكونوا ضمادً لها أبدًا، بل سيكونونَ سكينًا تتفنن بحفرها.

عزيزي كن لذاتكَ ذاتكَ وذاتهم وضعف احتوائهم وثلثه وبضعٌ منه قدمه لها، أجل إنها تستحق وأكثر، لكن لا تنتظر من أحدٍ شيئًا، لن يجازفَ أحدٌ ويضع يده بالنار لأجلك، الجميع يريد النسخة السعيدة من قلبكَ ولن يتقبلوا الحزينةَ أبدًا، لكَ بؤسكَ وبؤسهم، ولهم بؤسهم فقط.

"مُعاناة"

سيظل قلبكَ بَلْقَعٌ من كل جميل، وستتوالى عليكَ التَّبَارِيحُ والألآم فُجاجًا حتى يُسمعَ لكَ عَجِيجًا يزلزل الأرض والسماوات، يتلوى فؤادكَ من كثرة الآهات، وبالرغم من تلكَ المعاناة لن يكترث أحد، فكن لقلبكَ صوانًا، وكن لغيركَ مِعوانًا، وكن للحق قوالًا، وثق بأن الله وحده بقادرٍ على رد الحقوق، و جبر الكسور، و وحدهُ

لديهِ ضمادًا لكل الندوب.

"خيبةُ أمل"

ما يؤلمُ قلبي حقًا أنني كنت بجوارهم فـ أشد أوقات ضيقهم، وعندما جاءني الضيق زائرً لم أجد منهم أحدًا، كانت تتسلل العبرات لعيناي ما إن تجدهم بالجوارِ لكنهم أبعدُ ما يكون عني، كلماتهم كانت كلكماتِ مبرحةٍ موجهةٍ صوبَ قلبي، أُلقي إليهم بالمودةِ وقد كرهوا، فيلقونِ إلي بالسوءِ والبغضاء وظُلَمِ القول، متناسين ما كان بيننا من رفقةٍ طيلةً سنينٍ مضت، غيرَ عابئينَ بشرودِ ذهني، شحوبِ وجهي، تلاشي ابتسامتي، وتلكَ الحدائقُ السوداء المتناثرةُ أسفل عيني، فقد كانَ همهم الأول والأخير أن يستوطنني الحزنُ ويرافقني عوضًا عنهم، وقد كانَ لهم ما أرادوا، وأكثرَ حُزنًا.

"لن يتوقف العالم على حزنكَ أو حتى موتك"

تأمل معي هكذا هذا البؤسَ الدفين الذي تحمله هذه العبارة بين طياتها، إنها سخطٌ ياعزيزي، ما بالكَ تصدقها؟

لا أُخفي عليكَ أمرً أنني لوهلةٍ كدت أصدقها، وانغمس ببحر بؤسها اللُجي، فيغشاني موج الوجع والأسى، لكن مهلًا ما لبست أن أفقت من غفلتي.

دعني أخبركَ أن الله عزَ وجل ما خلقكَ بهذي الحياةِ عبثًا، ما خلقكَ ليشقيكَ بل ليهديكَ طريق الصلاح، تالله لم يُبرأك لتكون غصةً بل لتكون بصمةً بقلب أحدهم، بصمةٌ لطفٍ ولين وخير ومودةٍ ورحمة.

وإن كُنتَ مقبعًا للبؤس وأهلًا للأسى وحبيس ذاتكَ ومسجون حزنك، لابدَ وأن يكون لكَ وقعًا طيبًا على مسمع مضغةِ أحدهم اليسرى.

لربما يشتاق لكَ عابر سبيلٍ رويت ظمأه بكلمةٍ طيبة تخفف عنه عبء اغترابه، لربما يذكركَ طفلٌ يتيمٌ عند ربه، لأنكَ قتلتَ شبحَ جوعه و آويته ببيتكَ لليلة، أو أحد الهائمين بأحرفكَ حيث وجدوا ذاتهم المفقودةَ بين سطورك، ولربما يشتاق لكَ محبوكَ من العالم الآخر، عالم الجمادات عزيزي.

كـ كتابكَ الذي لطالما قلبت صفحاته لتستزيد منها، وإحتضنته يومًا بين راحتي يديك، أو لربما وريقاتكَ التى ترثي لها فُقدانكَ لذاتك، قلمكَ الذي تدون بؤسكَ به ليحمل عنكَ جُلَ الهموم، غرفتكَ التى تموج بأحزانك، ولربما هاتفكَ الذي تتساقط عليه أدمعكَ بين هِنيةٍ وأخرى.

إعلم فقط أنه سيشتاق لكَ الكثيرون، وسيلحقونكَ بدعائهم، وسيذكرونكَ بسجودهم وركوعهم، إعلم فقط أن هنالكَ من ينتظر أن ترتسم إبتسامةً

يشع وهجها على محياك، أو تشرقَ شمسكَ دون غروب، أحدهم يشتاق إليكَ رغم بؤسك، أحدهم يحبكَ نيابةً عن العالم، فتبسم يا عزيزي تبسم.

"كونكَ كاتبًا ليس بالهين"

كونك كاتب أصعب كثيرًا من كونك قارئ، فالقارئ لا يأخذ دقائق فـ استيعاب المحتوى، لكن أقسم لك أن الكاتب يقاسي كثيرًا، فكونك كاتب يستوجب عليك أن تستجمع كل قواك بل ذهنك أيضا فـي استحضار موضوع، فـي بعض الأحيان تكتب عن الحب وأنت لم تذق للحب معنى، وربما قلبك لم يدق لأحدهم ولو مرة واحدة، مما يصيب قلبك الصغير ذاك بالوحدة، وربما الحنين لأشخاص هم فقط فـي محض مخيلتك،كونك كاتب يستوجب عليك أن تكتب عن الحزن وربما كنت فـي أقصي درجات سعادتك، كونك كاتب يستوجب عليك أن تمدح السعادة، وبداخلك نيران وندوب بل براكين مشتعلة من الحزن والأسى، كونك كاتب يستوجب عليك الإبحار فـي بحور الخيال، أن تكتب عن تلك الفتاة الحائرة الضعيفة، فتود لو كان بيدك شئ لتساعدها لكنك تكتشف حقيقة الأمر إنها فقط أحد شخصيات نصوصك المبعثرة تلك فيصاب قلبك الهين بالعجز، كونك كاتب يتطلب منك أن تكون متعدد الأفكار وربما لن يفهمك أحد، بل كونك كاتب يستوجب عليك أن تعطي قلمك وأوراقك فرمانً لتوثيق بؤسك، بل أحيانا لكي تخرج ما بداخلك من حروف تأبى الخروج من حلقك، أو لربما نصائح أسديتها لغيرك وضرب بها عرض الحائط فتريد إيصالها للجموع كي لا تذهب هباءاً، كونك كاتب يتطلب أن تتقمص دور الظالم تارة والمظلوم تارة أخرى، كونك كاتب يستوجب منك إهدار مشاعرك علي أوراقك، كونك كاتب يتطلب منك أن تجوب الكون بمخيلتك وأنت جالس علي سريرك، كونك كاتب يعني أن تثق بقلمك وأوراقك وتمنحهما الأولوية بحياتك، كونك كاتب يجعل البعض ينظر لك من منظور أخر، ولربما يرون شخصياتك الخيالية تلك حقيقة تقطن بأعماق قلبك فتكتب حبا له، لكن الأمر علي النقيض تكتب أملا بأن تأتي تلك الشخصيات يوما، لا أدري لما يري البعض الكتابة سهلة لذاك الحد، لكن ما لا تعلمونه أنه يجول فـي أعماقنا حروب ونزاعات ولربما إنتكاسات وخيبات لكي تخرج لكم نصوصنا تلك، حسنا لا أدري إذا ما إستطعت إرسال رسالتي أم لا لكنني أقسم لكم أن تكون كاتبًا أمر صعب جدا وليس بالهينِ أبدًا، تالله ليس بهين.

"اكتب ولو فنيت الأحرف".

في الكثير من الأحيان تتأرجح ذاتكَ بين النقيضين، فلا أنتَ قادرٌ على الكتمان والصمت، ولا أنتَ قادرٌ على البوحِ والكلام، تريد التخفيفَ عن عاتقِ قلبكَ ويجتاح أعماقكَ، فتقرر اللجوء لما تظنه أخف أثرًا وأكثرَ إصغاءًا لكَ، فتلتحف الصمتَ وتؤثِرُ الكتمان على البوح، فمن ثمَ تبتلع غصةَ ألآمكَ وتتجرعُ الأوجاع، فيحول صمتكَ من ملاذٍ لرياح عاتيةً تجتسُ جذورَ روحكَ، وتهدم جدران قلبكَ، وتحول إلى عاصفاتٍ عليكَ لاتبقي ولاتذر، حين ذلكَ تلجئ لذاك المعشوق الصغير "قلمك" ولا مفر من اللجوء أولا لمن يعلمُ السرَ وأخفى.

نعم "القلم" فـ القلم يواسيكَ فى محنتكَ ويؤنس وحدتكَ، أجل فـهو الرفيقُ ولا أحد سواه فجميعهم هجروا، وذاك الشعاع الخارج من بين طياته يملئ الكون ضياءًا ويهديكَ لطريقِ الصلاح.

لن يرثي ذاته أبدًا، ولن يشكوا سوداويتكَ و ألآمكَ التي تبثها إياه، بل سيعيدكَ نقيًا بلا ألآم.

دائما ما ستجد مدادهُ مصوبٌ تجاه جروحكَ ليجعلها تندمل، ستجده يحمل عن عاتقكَ جُلَ الهموم، أجل إنه صديقكَ وقتَ ضيقكَ، وكيف لا وهو أولُ الخلائق، ويكأنه درسَ علوم المواساةِ والتخفيف، إنه أودعته أسرارك يكون حافظًا، وإن رثيتَ إليه ألآمكَ تجده مخففًا.

تالله إنه لهبةٌ من الله وأحمقٌ من ينحيه عن حياته.

ولما لا وسقمُ القلوب لايداويها سوى سنونِ الأقلام، ومن غيره قادرٌ على وصفِ حالكَ ويكون هو لسان حالكَ، عندما يقف لسانكَ عاجزًا عن كسر حاجز الصمت، ولو إستطاع هل ستجد من ينصت لثرثرتكَ وأحاديثكَ المهمشة؟

من يتحمل طفولتكَ، تفاهاتكَ، ألآمكَ، وخسائركَ وإنطفائك.

ربما أنتَ لست بكاتبٍ يخط كلماته لأجل الشهرة والأموال، أو لربما لست هاوٍ يكتب لإرضاء طبيعته، لست ملزمًا بعدةِ أحرفٍ كل يوم، بل إنه بين يديكَ ثمانية وعشرون حرفًا ترسم بهم لوحةً فنيةً متى شئت وكيفما شئت، لن يطالبكَ أحدهم بالكتابة فى هذا الوقت بالتحديد، فأنت شخص أخر، فقط تكتب حين تناديكَ دوافعكَ للكتابة وتجتاحكَ تلكَ الرغبة الغريزية للإمتثال للقلم وبعض الحبرِ والوريقات، تكتب حين يغزو الحزن فؤادكَ ولا تجد من تقاسمهُ بؤسك، تكتب حينما تسعد لشئ ولاتجد من يشاطركَ تلكَ السعادة، نعم وبكل سلاسةٍ لأن الكتابة هي الملجأ و المنجأ حين يهجركَ الجميع.

حين ترثي ذاتكَ لوريقاتكَ واقلامك لن تبادركَ بالرد "جميعنا هكذا" "كفاكَ عبثًا ألا يتبدل حالكَ أبدا"، أو حينما تفخر بإنجاز حققته ذاتكَ لن يقول" إنه ليس بإنجاز الجميع قادرٌ على فعل ذلك، إذا فما المميز فيما فعلته"؟

بل حينما تمرض سيخفف عنكَ ولن يصوب سهامه لقلبكَ قائلا: "جميعنا مرضي ياعزيزي" بل سيمتص ألامكَ ويكون ترياقكَ، سيعتني بكَ اعتناء الأمِ بوليدها، أوراقكَ المهترئة تلكَ أرفق بكَ من رفيقكَ القديم، أجود ما فى الأمر لن يوبخكَ لانكَ سكبتَ قدحَ قهوتكَ الساخنة عليه بالأمس.

إجعل الكتابةَ لكَ سكنًا ومأوى، بل وطنًا تلجأ إليه من شرور وأفاعيل البشرِ الشنعاء، فهي تتقبل كلماتكَ حتى لو كانت فوضوية غير مرتبة بل تعيد بدورها ترتيب ذاتكَ.

أجل فأنتَ غير ملزمًا بتأنيق حديثك معهم، فأنت لست كسائر الكتاب الملقبين بالعظام، فمعظم أولئك العظام يلجئون للكتابة لأجل المال، لكنكَ تكتب لكَ لذاتك، لأنكَ لم تجد أذانًا صاغية سوي أذان محبرتكَ ودفتر كتاباتكَ وتلكَ الأقلام.

اكتب، اكتب ولو نفذ حبر البسيطة بأكملها فستكتب بمداد دمائك، لو نفذت تلكَ القراطيس والوريقات فستتخذ من جدران قلبكَ قرطاسًا تخط عليه، إجعل من نجوم السماء أحرفًا تخط بها على صفحات السماء، على رمال الشواطئ ستحفر فصول الروايات، وبقاع البحر سيكون مقبرة للبحارين

الغرقى بحثًا عن نتاج الكلمات، لا يهم كيف تكتب ولكن اكتب المهم هو ألا تجف روحكَ من شغف الكلمات.

عزيزي الكاتب أو القارئ أين يكن صفتكَ الآن، حينما تبادر بسردِ قصتكَ المأساوية لأصدقائكَ هؤلاء لاتتوانَ فى سردِ ما يعكر صفو روحكَ، تلكَ الهواجس التي ترافقكَ ليلا، ذاك الفصل من حياتكَ الذي أحببته به فتاةً لم تحبكَ فتسطر قصة حبٍ فاشلة انتهت بالهجر والرحيل، تلكَ الهمهمات الغير مفهومة التي لم يفهما أحد سواك، إرثي لهم كل ما يقلقكَ و ينزع النوم من عينيك، أسرد لهم بؤسكَ وتلكَ الأحلام التي حالت إلى أوهام، أسرد لهم وبهم فكلهم آذانٌ صاغية.

وكما أدعي دائما أن أقراني الثلاثون، ثمانية وعشرون حرفًا وهذا القلمُ وذاكَ القرطاس، فلو كان بوسعي استبدال الجميع بثمانيةٍ وعشرون حرفًا، وقلمًا وبعض الحبر والوريقات لما تناهيت لوهلة، فلم أجد لي رفيقًا غير قدح القهوة المُرِ وهُم.

"الخذلان."

طالبني أحدهم يومًا بأن أدعَ خيوط قلمي تنسج وصفًا لذاكَ المدعو خذلان، فـ صعدت على متن سفينة خيباتي تلك وأبحرت بذاك المحيط من المشاعر المتلاطمة، حاولت كثيرًا أن أشحذ ذهني ولم أعي أيهم أذكر فهم كثر، أجل فقد أصابني من الخذلان مسٌ من الجميع، أ أذكر خذلان صديقةٍ ذهبت ولم تعد؟ أم خذلاني لذاتي حين أسكنتها أُناسًا ليسوا لها بحافظين.

لملمت شتات نفسي وحاولت سردَ كل تلكَ الفصول المريرة من تلكَ الرواية المدعوةِ بـ "الخذلان".

أنا عزيزي القارئ إنسانة بائسة، أجل أعي ما أكتب بائسة، ما أحببت أحدً وقدمته على ذاتي إلا وقطم ظهري، وأبكاني، حولني إلى أشلاء يصعبب لملمتها.

عن تلكَ التي كنت أحسبها صديقة وقدمتها على الجميع وذاتي، ها أنا لم أرى منها سوى طعنات طائشة أدمت قلبي وطرحتهُ قتيلًا، بل لازال ينزف إثرها ولازالت جراحه غائرةً تأبى أن تندمل، ها هي خانت العهد وانقطع الود بيننا، أحيانا ألوم ذاتي وأضع عليها الحق _ كل الحق _ فـ الفراق.

لكن أجدني أسرفت فى حبها، ولم تبادلني ولو جزءً ضئيلًا من ذاكَ الحب، أكثرت من مدحها وذكر محاسنها ولم تري بي سوى العيوب وكنت لديها من المذمومين.

بالرغم من أنها كانت جوهرة بـ عين قلبي _أجل عين قلبي فإني لا أرى أحبتي إلا بها _ ومالها قد عميت عين قلبها عني، لقد كانت مصيبتي بها كبيرةً لذاك الحد الذي لا يحده حد، تلكَ الصديقة التي وهبتها حبي بأكمله وفضلتها على ذاتي، أعطيتها القلب كل القلبِ وهمشت الباقين ممن حولي ولم أحظ بشيء سوى الخذلان، ولم تكن المعضلة فـ الترك وحده بل إنها أعظم من ذلك، فقد تخلت عني عندما كنت فـ أمس الأوقات احتياجًا لها ولاحتضانها، عندما كنت بحاجة ليد تربت على قلبي المنتفض، و ضمادةً لتضمد ندوب روحي.

لماذا لا تنكشف معادن الأنذال إلا فـ الأزمات؟

فـ حينها فقط تحول مصيبتكَ من واحدة لأكثر، "الخذلان، و الأخري "سوء الاختيار".

ربما تنظرون لنا كجبال قادرة على التحمل، لكن واقع الأمر ما نحن إلا حجارة مفتتة ما إن عصفت علينا عاصفة خذلان أخرى ستجعلنا كما الهباء المنثور.

قل لي بربك ما حال المرء حينما يخذل من أقرب الناس لقلبه؟

رغما عنه سيفقد الثقة بذاته وبمن حوله أيضًا، ومن ثمَ يؤثر الكتمان على البوح، والعزلةَ على الأُلفة، ويظل هكذا لأجل مسمى عند ربه لا يدري متى يخرج من أسوار تلكَ الصدمة ويمتثل للنسيان منها.

حينها لا أدري أيعود قويًا أم يُضعفه قلبه مرةً أخري؟

صدقًا سيبقى ذاك الجرح الذي يستعمر فؤاده غائرًا ولن يستشعر آلامه أحد سواه..

كيف للمرء بعدما فقد ثقته بذاته ومن حوله أن يعود قويًا كما كان، بل إن استرجع قلبه سيجده ضعيفًا ممزقًا لا يسمن ولا يغني من جوع، بل هل سيجد من يلملم شتات نفسه ويضمد جراحه؟

الجُرم الوحيد الذي اقترفناه هو أننا كنا طيبون لذاك الحد الذي لا يتوقعه أحد، لذاك الحد الذي جعلنا فريسة للخذلان، بل جعلنا أضحوكة لنفوسهم المريضة التي تناسيت ما كان بيننا من رفقةٍ طيلةَ سنينٍ مضت..

لم نَجني شيئًا سوى بكاء دائم، هواجس ترافقنا ليلاً، صرخات تفزع آل البيتِ بجنح الليل، و الكثير من الحدائق السوداء أسفل أعيننا، القلب ممزق لأشلاء يصعب لملمتها، حالكَ حالِك السواد لا يعلمه سوى من يعلم السر وأخفي، حسنًا فتلكَ الخيوط التي نسجها قلمي تشابكت وعجزت عن إيصال معنى ذلك الخذلان، سأدعه يتنحى جانبًا فبالرغم من أن هنالكَ ثمانية وعشرين حرفًا إلا أنهم وقفوا حائرين أمام الوصف، هكذا كان الخذلان أن تهبهم ذاتكَ وترافقها للنعيم، فيسلبونك إياها ويلقونكَ بأيديهم للجحيم، تالله إنه لمؤلم وما هو بهين.

ما هو بهينٍ أبدًا.

"رغمَ الفـراق"

مضى الكثير والكثير من الوقت، لحظاتٌ عجاف تنخر عظامي من هول تفاصيلها الشائكة، جالسةٌ أنا هنا بذات الغرفة التى كانت تحتضن كلانا، لازلت بمقبعي أحتضن صندوق لحظاتنا المخلدة، تحاوطني مراسيل الشفقة والفراق، لما هجرتني، لما رحلت..؟

إنكَ هنا قابعٌ بين ثنايا روحي لا تفارقها، لا أخفي عليكَ أمرً أنها المرة التي لا تحصي فيما بعدَ الألف والتي أحاول أن أكتب لكَ ولا تسعفني الحروف وتنفر مني الكلمات، للمرة المريرة خانتني الكتابة، أتتذكر أول لقاء بيننا حينما أهديتكَ مرسالًا خُطَ بمداد قلمي، ما زال بجيب قميصكَ رأيته ليلة أمس حينما كنت أرتديه، حينها أفصحت لي عما بمكنون قلبكَ من حب وأظن العالمَ استكثره علي وأخذكَ مني.

كتبت لكَ العديد منها ولكن لا أعلم ماذا دهاني الآن، أوصالي مرتجفة، أعيني ذائغة دامعة، أوراقي متتطاير، و قلمي ينزف وجعًا، لازال قلمي يتمايل ليكتب كلمةً غير واضحة المعالم من شدة إعيائه فتجده يخط "لما رحلت لقد إشتقت إليك"،

ومن ثمَ توقف فجأة ويكأنه يصارع وحشًا وملَ من الفرار منه، ويكأنه جُل ما يطوق لأخباركَ إياه أنني أشتاق، أجل أشتاق لكَ.

تتزاحم الأفكار السوداء براسي فتعجزني عن استكمال ما بدأته، أود إخباركَ بأنني برحيلكَ هائمةٌ على وجهي لا أدري وجهتي، دفتري الذي كان مزهرًا ذبل لأنكَ لم تحتضنه من زمن بين راحتيكَ لتقرأ ما نُبأ بتأويله من لدني لكَ، نفذَ الحبر ولفظَ القلم أنفاسه الأخيرة فهببت لاستكمال

بدمائي التي صارت دموعًا مسلوبةً حمرتها، لو إتطلعت على كتاباتي لوليت منها فرارً ولملئت منها رُعبًا، فقد امتزجت بدموع قلبي لتشكل منظرًا بشعًا على الأوراق، ويكأنها غارقةٌ ببحر لُجي من الأحزان، فقد كل شيء رونقة وصار باليًا مثلي، فلما رحلت..؟

لا أقوى على فراقكَ أبدًا، تمكنت مني الوحدة وأحكمت فكيها علي، كنتَ قدوتي، فبرحيلكَ سقطت الدال وخارت قواي، هشةٌ مفتتة القلب، هينةٌ يتلاعبون بي بأقوالهم كما تتلاعب الريح بالأوراق البالية بمهباتها، الجميع يصرخون بالخارج بأنه ذهب ولن يعود، ألن تعود إلي..؟ ألم نتعاهد على البقاء..؟

مرَ أسبوعان على رحيلكَ مرو كـ قرنان من الزمان، لم تغب عن قلبي للحظة واحدة، لازالت أذكركَ بسجودي وأدعو الله أن يلحقني بكَ بأقرب وقت، لا تسأل عن حالي، فهو بدوني حالك، لايعلمه سوى أعلم السر وأخفي، ليس للحياة طعم وأنتَ لستَ جزءًا منها.

لازال الحادث الأليم محفورًا بقلبي، كل دمعةٍ ذرفتها عين أحدهم لرحيلكَ كان مسقطها قلبي، لازلت أتذكركَ، أراكَ كل ليلةٍ كأنكَ أمامي، أحتفظ بكتبكَ، وقلمكَ الذي أهديتنيه، ساعتكَ رجالية المظهر، يسخر مني الجميع لأني لازلت أرتديها، لا يعلمونَ أنها بضعٌ من ريحكَ ليخلد ذكرك، كلما هممت بقراءة الوقت بها أتذكر موعدَ رحيلكَ، فتنتابني رجفةٌ شجية متبوعةٍ ببكاءٍ مكتوم، بكاءٍ فاقد لصوته، كيف أخفي خيبتي عنهم، كيفَ أحبس دموعي لا أدري.؟

رحلتَ دون سابق إنذار، فصار براح فؤادي لا يساع سوى الحزن والبكاء عليك، أبكي على أطلال غرفتكَ ومتعلقاتكَ فهل سيعيدكَ البكاء إلي..؟ هل ستعيدكَ السماء إلي، أم هل يعيد التراب جسدكَ لاحتضنه ولو لمرةٍ عوضًا عنه..؟ سأخبركَ فقط أنني لازلت اشتاق اليك، و سيعتزل قلمي مهنته فلن

يكتبَ لأحدٍ بعدك، كما لم يكتب لقبلك، أود فقط إخبارك أنه برغم الفراق لازلتَ عالقًا بي، رغم الفراق سأظل أحبك.

"لماذا تكتبين.؟"

ذات السؤال الذي يتردد على مسامعي كل ليلة، بوادره تنطلق إلى عقلي فى كل لقاءٍ بيني وبين أوراقي، ذات السؤال الذي يطرحه علي والدي دائمًا، لما تكتبين..؟ ماذا ستجنين من وراء الكتابة؟ لن تجنِ سوى تضيع الوقت، علاوةً على أنها ليست وسيلةً لكسب العيش ولا تدرُ مالًا، ليلة البارحة زجرني عندما رأني أكتب، وهذا ما حدث منذ قليل أيضًا، "أنتِ تضيعين وقتكِ بأشياء لن تجدي نفعًا، أنتِ على مشارف البداية بعامٍ دراسي جديد، وليس أي عام إنها نهاية دراستك الثانوية، هذا ما سيحدد مستقبلكِ أفيقي بنيتي" هذا ما قاله.

لا ألومه أبدًا، فـ هو كأي أبٍ يخاف على مستقبل ابنته، سنة فيصل كما تعلمون لا أدري لما تصيب الجميع برعب هكذا، ألا يعلمون أنه ما كتبه الله واقع..؟ سأدرس أعدكم وأدع الباقي على الله، لكن لا أعدكم أنني سأقوي على ترك الكتابة.

لو سألت كاتبًا لماذا يكتب؟ لأجابكَ أن هنالكَ أسباب لا تُعد ولا تحصى دفعته للكتابة.

لا يوجد سبب موحد دفع الجميع ليكتبوا، وأيضًا لربما لا تكون الإجابات مُشبعةً لرغبات البعض ممن يتساءلون، الأمر أشبه بمرض حميد محمود عواقبه ليس لديه ألآم بل مخففًا لها يصيب الكاتب منا فلا يقوى على تركه، ولا يجد له ترياقًا فهو الداء ودواءه.

أستطيع إخبارك أنني أكتب لـ أحيا أكتب ليخلد ذكري وأظل محفورة بقلب كل من يقرأ كتاباتي، أكتب لأنني شخصيةٌ كتومةٌ جدًا ولا أجيد البوح، هنالكَ الكثير أود إخباركم به ولا يمكنني التعبير عنه فأجد لساني متلعثمًا، حينها أعبر عنه بلسان قلمي علكم تصغون إليه، لذا التجأت للكتابة.

أكتب لأنَ عقلي يضج بالعديد من الأفكار وأحاول جاهدةً فض الزحام الذي يموج به؛ لربما لو تركَ هكذا دون ترتيب سأفقد صوابي يومًا ما، فى هذا الحين أدع لقلمي المجال ليهندم ما يجول بخاطري، أو يبعثره على الأوراق ما يهم أن يجهض هذه الأفكار من رحم عقلي قبل أن تقتلني.

أكتب لأن الصداع النصفي صار رفيقَ دربي ولازال يرتشف من عقلي فيصرخ رأسي ألمًا، فألتجئ للكتابة فأجد بها ترياقًا لآلام الرأس جميعًا.

أكتب لأن هنالكَ الكثير والكثير، ليس لدي أصدقاء فوجدت بها صديقتي، أكتب لـ أستميل قلبَ صديقةٍ رحلت عني، فوالله ما هجيتها قط، بل تالله أثنيت عليها ولربما مسها من العتاب والرثاء شيء، لكنَ لم أتوان عن مدحها وذكر محاسنها برغم ابتعادها لأشهرٍ ولا أعلم أوصلتها كتاباتي التي وهبتها سطورها أم لا.؟ إلا أن الكتابة ما زادتنا إلا إقترابَ.

أكتب لربما لأجد ذاتي المفقودة بين سطور كتاباتي، أجد بها الملجأ من حزني عندما دفعني العالم بغيابة الوحدة والحزن؛ فأنا أكتب لأنتشل ذاتي من قاع العبث الذي أوقعتني به، لقد زَججتُ بي لسجنٍ ليس لديه أبواب، لكنها من حررتني من أغلاله.

أكتب لأن الكتابة تجعل صمتي يتحدث، وتجعل القلم يتراقص كلما لامسته أناملي، أكتب لأنني أسديت نصيحةً لأحدهم وضربَ بها عرضَ الحائط، فأبُثها لأوراقي لتخرجها لجموع القراء علني أجد من يأخذ بها. هنالكَ الكثير والكثير دفعني لأكتب ولكن هذا ما نُبأ به قلمي لـتأويله لكم حتى الآن، فقلبي يبكي لا يريد هجرانها، وهنا عجزت أنا الأخرى عن ذكر باقي الأسباب فهي لا تعد ولا تُحصى.

لربما هنالكَ العديد من الكوارث الإملائية، طريقتي فـ السرد غير منظمة، تعبيراتي و وصفي غير مشبع لرغبات بعض القراء، لكنني أخرج ما يجول بخاطري بأي طريقةٍ خرجت، لا يهم الترفعَ ولا الجذب، ولا يزعجني الانتقاد، بل يزيدني لها إقبالًا، لا يهم أن يقرأ لي الجميع، ما يهم أنني أكتب للجميع.

نهايةً قارئي العزيز، لربما يكون هذا أخر نصٍ أكتبه، احترامًا لرغبه والدي، لكنني لا أعده بذلك، ولا أعدكَ بالعودة بأقرب وقتٍ أيضًا، لربما نلتقي بعدَ اثنى عشرَ شهرًا من الآن أو لربما سأنقض الهدنةَ ونلتقي بعد اثني عشرة ساعةً من الشوق لـ ثمانية وعشرون حرفًا، ولربما لن يسعفني الوقت وأرفض توقيعَ الاتفاق. على أي حال اذكرني في دعائكَ و ادع الله لي بالتوفيق والسداد فيما أنا مقبلةٌ عليه من أمورٍ عجافٍ شِداد.

"أجل إنـها كاتبة"

إياكَ أن تحبَ كاتبة، أجل هذي نصيحتي لكَ عزيزي فلقد نُبأ إلي أنكَ مُقبلٌ على خطبة إحدى الهائمات بالأحرف.

احذر أن تقع بفتاة تلتجئ للكتابة من شرور البشر وأفاعيلهم الشنعاء، ستعزف على أوتار الكلمات؛ لتكوِن مقطوعة موسيقية أنتَ مطلعها ونـهايتها، ستكتب روايةً أنتَ الفصل الأول والأخير بها، ومن ثمَ تخلدكَ حاكمًا لمملكتها، وحامٍ لكبريائـها، ليست مجرد فتاة عادية تلكَ التى بإستطاعتها أن تجعلكَ تجوب الأرض من شرقها لغربها وأنتَ تقرأ أحد كُتبها، بل إنـها ساحرةٌ لذلك الحد الذي لايمكن وصفه، لذلك الحد الذي يوقعك بها من الوهلة الأولي.

دعني أخبركَ بأنكَ ستكون بخندق من التقلبات المزاجية، تجدها فرحةً تارة وحزينةً أخرى، مبتسمةً تارةً ودامعةً أخري، لوهلةٍ تبكي وفي ذات الحين تنفجر ضحكًا.

ستجد لديـها أفكارًا جنونيةً لا تحصى، ولربما انتحارية، لابدَ من التأقلم معها ومسايرتها وإلا فقدت صوابك، فتارةً تحسبها طفلةً لم تبلغ التاسعة من عمرها بعد، وتارةً تحسبها امرأةً تسعينيةً خاضت جميع تجارب الحياة فلحق بـها من الحكمة ما لن تجده بكتب حكماء الأرض جميعًا.

إنـها فتاةٌ جل ما تريده رجل يعلي من شأن أحرفها ويقدسها، فهنيئًا لكَ إن كنتَ بأحرفها هائمًا، لكن ويحكَ بأن تجعل شغفكَ بالأحرف يتعدى شغفكَ بـها، فـهي من ترسم بالأحرف لوحةً فنيةً وليس الأحرف من ترسمها، فتاةٌ لو مشت على العشب ما هبطَ منه عود واحد، بل ستجده سلسًا مهندمًا.

عزيزي عليكَ تقبل أن هنالكَ طرفًا ثالثًا بعلاقتكم يشاطركَ قلبها، ولربما يحوز الجزء الأكبر منه، فهي بالكتابة هائمة كما أنكَ تهيم بها، ولكن لكل منكم أولويات.

إذا ما حزنت سهلٌ إرضائها كثيرًا، أعلم جال بخاطركَ هديةٌ أليس كذلك..؟

أجل هدية، لكنها ليست قرطًا من ياقوتٍ أو لؤلؤ أو ما شابه، تالله إن مقامها كـ ملء الأرض ذهبًا ولؤلؤًا، لكنَ الأمر أبسط مما تعتقد كثيرًا، فإن أهديتها بعض الأوراق وقلمٌ ذهبي اللون، أو أحد كتب سلسلة رواياتها المفضلة التي ودت لو اقتنتها، فستلين حتمًا.

خذ بعين الإعتبار أيضًا عندما تحدثها لابد أن تعي معنى ما تقول جيدًا، انتقي من القول أطيبه وألطفه وقعًا على قلبها الصغير، فكما تعلم أيضًا أنها تتقن اللغة جيدًا، وتعي جيدًا بلاغياتها من "إلتفاتٍ وتشبيه وكناية"، هنا أنتَ بملعبها عزيزي وويلكَ لو أخطأت القول.

لا تنزعج أبدًا من ثرثرتها الكثيرة عن أبطال روايتها الجديدة، أو عندما تجدها بعالمٍ أخر غير عالمك، فهي تتقمص تلكَ الشخصيات قبل أن تضعها بأحد أجزاء روايتها، ستجدها تبكي لأنها أُجبرت لجعل النهاية بائسةً لموت أحد الأبطال بسبيل حبهما، فقط لتسايرَ الأحداث.

وستجدها تشع فرحًا مرةً أخرى لأنهما أجتمعا بخيرٍ بعد عناءٍ طويل.

وإن حدث وأغضبتها ذات مرةٍ فلن تلتجأ لبيت عائلتها، بل ستلتجئ لمكتبتها وكتبها، حينها إياك أن تفسد خلوتها حتى ولو بغرض استرضاءها.

عليكَ اللعنةُ إن مسستها بسوءٍ أو أسأت لمعتقداتها، احذر أن تبكيها فوالله إنها لرقيقةٌ للغاية، وإن حدثَ وأبكيتها فستجد سنَ قلمها الذي وهبته لكَ حال لـ سن سيفٍ يمر على عنقكَ، ستجد مداده مصوبٌ نحوكَ ليلومكَ ويعاتبكَ أشد العتاب على ما اقترفته بحقها، لن تلجأ لوالديها أبدًا، ولا لمحكمة الأسرة مثلًا، بل ستلجأ لوريقاتها واقلامها فتشكوك لهم، وهنا تكون قد لُعنت فـ السماء والأرض، فستجعل من الثمانيةَ والعشرين حرفًا قاضيًا يحكم بينكما بالعدل بعد الإستناد لحكم قاضي السماء.

هنا ستظهر حقيقتكَ البشعة أمام كل من يمرر كلماتها أمام ناظريه، سينبذكَ الجميع، ويلحقونكَ بالسخط دون أن تطلب منهم، فلقد علموا بمعاناتها من كلماتها، التمسوا بكلماتها العديد من الآهات، وما بين الألف والياء هنالكَ العديد من الشهقات، وهنالكَ على تلكَ الصفحة يوجد دمعةٌ لازالت أثارها عالقة أبدت أن تجف أبدًا.

حسنًا إن أحببت كاتبةً فكن أهلًا لحبها، وإن لم تكن أهلًا فليسَ أهلًا بكَ أبدًا، فسلام الله عليك، عد من حيث أتيت.

"ذكرياتٌ عالقة"

لازال الماضي يراودني بحلوهِ ومُره، لا أحدَ منا يستطيع تغيرَ ماضيهِ أو التخلص منه على النحو الذي يجعله ينعم في عيشه، هنالكَ نكباتٌ وذكريات خلفت ندبات وجراحَ بأعماقي لن تندملَ أبدًا، كان للجميع يدٌ برسمها كأوشمةٍ على جدران قلبي، الأهل الأصدقاء، الأحبه، لم أسلم من خذلان أحد، فقد تفننوا جميعًا في الهُجران، وكانت نهايةُ الطريق زُقاقٌ حالكُ السواد يدعي الفُقدان، لم أجد بهم مَرهمًا لجروحي أبدًا، بل كانوا مُر همٍ ولازالت آثاره عالقةً بي وإن غادروا. تتكالب علي الموبقات والخيبات لتشن حربًا ضاريةً مقبعها صدري فيضيقَ بي، أتأرجح بين شقي الرحى فلا أنا بقادرةٍ على الكتمان والصمت ولا بقادرةٍ على البوح والكلام، فألجأ لما ظننته أقلَ أثرًا وأكثرَ تخفيفًا عن عاتقي، فأفضل العُزلةِ والإنطوائية على التجمعات والأُلفة، فقد أصابتني سهام وجودهم فكنت أصدق يعسوبَ كلماتهم وما هي إلا لكماتٌ كذوب، حتى فاض بي الأمر ولم أعد أحتمل فعضضت أناملي ندمًا ولملمتُ شتاتي فرضًا، لكنني لازلت وحيدةً مُبعثرةً، أتضرع من الله أن يمدني بقوةٍ تنسيني أمرهم، وتمحي مُرَ مُرورهم، فتنشعَ الخيبات عني وتقشعَ الظلمةَ وتشرق الشمسُ فيتبدلَ خوفي أمنًا، وتندملَ جروحي أبدًا، ويُحملَ عن عاتقي جُل ما أحمله من همومٍ تكاد تقطم ظهري، و تقطع فؤادي إربًا .

"رسالةٌ رُبما تصل"

_أبي والألفُ حاءٌ مضمومة، عزيزَ قلبي، أكتب لكَ كلماتي الآن بمداد قلمي، أو لربما حالت الميم لباءٍ فجف حبر قلمي ونضب مداده وما يُكتب الآن بدماء ومداد قلبي، وتسقط راء الحبرِ فقلبي لكَ محبٌ متيمٌ، التجأت للكتابة لأسرد لكَ ما بمكنون قلبي، أو لربما أقوي على أن أنسج بكلماتي حبل الوصال بيننا، فكما تعلم أنني لا أُجيد البوح، وبالرغم من أنني لستُ كاتبةٌ أو شاعرةٌ وما شابة إلا أنني أحاول أن أنظم لكَ قصائدي وأجعل حروفي مسكنًا لكَ وأجعل مداد قلمي مُسكنًا لآلامك عساك تقرأ رسالتي هذي بوقتٍ تجتاحك به غُصص الألآم، إعذرني إن لم أُجد الوصف أو إن وصلتكَ الكلمات متلعثمةُ فإني واقعةٌ بكَ لو تعلم، حتى لو تعثر لسانك حين قرأتها فجاهد حتى تقرأها بكمالها، أعلم أن هنالكَ أخطاءٌ كثيرة وفادحةٌ أيضًا، أكثر من الضم علكَ تلين وتضمني لأضلعكَ، وأقلل من الكسر فقد كسرت من قبل كثيرًا وأتيتكَ لتجبر كسور روحي، ولربما حروف العله شحيحةٌ فأنا لا أجد حرفًا يُعلل خيبتي، هنالكَ كوارثٌ إملائيةٌ أعي ذلك، لربما أحيانا أذكركَ خفيةٍ بأحد كتاباتي والجميع يظنكَ أحد أبطال رواياتي، لكن واقع الأمر أنني أكتب لأتوسدَ سيرتكَ، أكتب لأكون بجانبكَ فـ عالمي الخاص.

أما بعد،

فكيف حالك..؟

أتعلم أن حالي بدونكَ حالك، أعلم أن صعاب الحياة تجابهك وتتعدى طريقك، لكن كن صامدًا مناضلًا، لازلت مثابرًا مُصمما على قهرها، هذا حالك دائما فـ كل معركةٍ تخوضها مع الحياة، لا أدري متى تصلك خطاباتي، أو كيف تكون حينها، لكنني واثقةً أن رحمةً الله وسعتكَ، ورعايتة تحوم حولك، ستكون بخير، لكن ثق برب الخير..

أرجو من كل قلبي أن تكون بخير، فأنتَ منبعٌ للخير، وقلبكَ نابضٌ بكل خير، حسنًا يا خيري، ومُختاري وكل خياري إذكرني فـ دعائكَ وأعلم أن دعائي يفيض بكَ ولا تخلو منه أبدًا، أطوق لإبتسامةٍ عذبةٍ منك تلامس وجهي فتنسي فؤادي كل تلكَ الهزائم التي لحقت به، سجيتكَ ملائكيةٌ ووجهكَ فاق جمال العالمين جمالًا، تُخلق البهجةٌ فى كل مكانٍ تخطه قدماك، فُخطَ صحراء قلبي البور وأروهِ من بهجتكَ فقد نضبت آباري، وكن لي بئرًا، وأبدل ما بعد الباء بألفٍ، فما أحتاج الآن سوى البر بقلبي.

ولربما تسأل عن أحوالي، فقد ذكرتها من قبل حالكةٌ بدونكَ، هنا أنا قابعةٌ بين دفتي كتابٍ قد تمكنت الوحدةُ مني، أكتب بنهم، وأتعلق بكل خيطٍ يوصلني بربي، أجل فلم أجد لي ملجًأ سواه، وحده أعلم السرَ وأخفي، فهو عالمٌ بحال قلبي الآن وإن لم ألجأ إلى البوح، إنعدم كلامي، وتلاشت ضحكاتي، وتعالت آهاتي، كنتُ أُثرثر كثيرًا عندما كنا معًا ولم تتزمر، لكن الحال هنا على نقيضه تزمرَ الجميع مني حتى التذمر أحسه يتزمر من كلماتي الطفولية لهم، لربما الأشياء واللحظات لا قيمة لها سوى مع من نحب، كانت كلمة "إطمئني" تملأ قلبي أمنًا كـ ملء الأرض ذهبًا، كلمةٌ واحدة منك كانت تفعل بي ما لم يقوي أهل الأرض جميعًا على فعله..

ختامًا،

فقد إشتقت إليك، فأنتَ كُل كُلي قَد كَل الكَلمُ أمام نقائكَ وكَهل القلم أمام وصفكَ، عزيزي دائما وأبدًا تشبث بأحلامك، حطم أشباح اليأس ما إن تأتي أمامك، تشبث بحبل الله فوالله حبال البشر باليةٌ ستسقط عاجلا أم أجلًا، اتخذ من الفرقان رفيقًا وخليلًا، واعلم أن كل المِحن ماهي إلا مِنحٌ لتصلكَ بربك، اترك البشر و عد إليه، فالكل فانٍ سواه عز وجل، أعلم أنكَ بحالةٍ غير مستقرةٍ وأعلم أن الهموم تحوم حولك، إذكر ربكَ فإليه مستقر كل متقلب، نهايةً فـ السلام عليكَ وعلى قلبكَ حتى يستقر ويستكين."

الفصل الخامس.

بعنوان: محضُ تُراهات.

"لغو"

عزيزي مُرُ أنتَ كـ مَطعمِ القهوةِ وميم المُرِ يسبقها قاف، كن لي شمعًا يضيء طريقي و احذر أن تصير الشين دال، حصني الدافئ أنتَ وضع نقطةً على الصاد فألوذ بكَ من ظلمةِ الحياة، وهبتكَ قلمي والميم باء، فصار لكَ نابضًا مدى الحياة، منبعُ حروبي أنتَ والباء فاء فكتاباتي لكَ من الألفِ إلي الياء، احك ما بـ قلبكَ وضع باءً بين الحاء والكاف فحبكَ متمكنٌ مني حدَ الفناء، أنتَ فرضي وسنتي والسين جيم، فبوجودكَ صارت الحياة نعيمًا فكن أهلًا لها ولا تلقي بي للجحيم.

"أيا صغيرتي."

يا صغيرتي احكِ لي ما ألمَ بكِ ودعيني أفسح الطريق للباء لتحتل موضعها بين الحاء والكاف عللكِ تطمئنين، وسلميني زمام جروحكِ فتسقط الجيم وتندمل الجروح، فكما تعلمين أنني لكِ ذاك الحصن الآمن وضعي نقطة الصادِ فتلتجئين إلي ما عصفت عليكِ المخاطر.

"عزيزتي"

عزيزتي، بل طبيبتي و الطاء حاء، أيا ظلي والظاء كاف، أيا ينبوعًا جاءني لأرتوي بعدَ سنينٍ عجاف، كنتِ ولازلتِ لي مرهمًا أزال كُل مُر همٍ لحق بي، صفيةٌ صافيةٌ أنتِ كـ ماء السماء، كالقمر أنتِ جئت فأضأتي عتمتي وصارت الميم

دال، لا أدرِ كيف وقعت بكِ منذ وقعت عيناي عليكِ، براءة الأطفال تطل من عينيكِ، عفويةٌ أسرتني مصنعها شفتيكِ، عندما التقينا أول مرةٍ ولامست أناملي كفيكِ دب الدفء بأوصالي بعدما كانت تغط بصقيعٍ أبدي، وحدكِ كنتِ قادرةً على إحياء ميتٍ مثلي، رددتِ إلي روحي بعدما هجرتني، ظلي متشبثة بي فأنتِ طوق نجاتي الذي انتشلني من هاويتي، فلتبقِ هنا عزيزتي، فلتبقِ بجواري إذا ما ضعف القلب وتمكن منه المشيب.

"أنتِ قمرٌ"

_حَلِيتْ حياتي بوجودكِ بعدَ حذفِ القاف، برغم العوائق إلتقينا وصارت الميم دال، وأبدلي القافَ والميمَ بصادٍ وباء على الترتيبِ، فإنني بحاجةٍ لصبرٍ بعدَ الفقدان، ومالي أري الميمَ صارت باءً فإنني برحيلكِ قابعٌ به في عداد الأموات.

و يا عجبي علينا شبابٌ بسن الشباب شِبنا، فما شابنا شيء سوى أننا أشيب من شائبٍ في شيبه.

_وما الحب إلا مودةٌ تودها لمودودٍ بودٍ، فإن ودَا سيودكَ بوداده.

"تضحية"

فنيت أرواحنا إرضاءً لهم، وجازفت قلوبنا بأسمى مشاعر الحب والإخلاص لهم، نسجت نبضاتنا حبال الوصال والود والوفاء، حاولنا مِرارًا تناسي مأسي الأمسِ ولم نلقي سوى مَرارًا، حاولنا تضميد روحنا بأنفسنا فهم من نَدبوها، وهنالكَ التصقت الجيم بالراء فالندوب لن تندملَ أبدًا، كنا الطرفَ المتنازل دائمًا حتى وقعنا بالوحل وتناثرت كرامتنا هباءً، واستَّتُنزفت مشاعرنا للحدِ الموجعِ كثيرًا، لم نجني سوى الخزي والخذلان، نالت منا أيدي خيانتهم، فـ النهاية جعلونا نكره ذاتنا، ونمجد ذاتهم، فقد فعلوا بقلوبنا الأفاعيلَ، أيقننا بنهاية المطاف أنه لا يوجد من يستحق كل هذا الكم الهائل من التضحية، لا أحدَ يستحق جُرعةَ اهتمام زائدة، أو بالأحرى لم يستحقَ أحدٌ حبنا، لذا لا تحب إلا من هو أهلٌ لكَ ولحبكَ، وإن لم ترتطم بهِ أنصحكَ ألا تُحبَ أبدًا.

"كاتبتي"

_مرحبًا كاتبتي المفضلة، هلَا أعطيتي فرصةً لنعرف بعضنا أكثر، ونتقرب فنصير واحدًا، وما عساكِ أن نصير صديقتان..!!

مرحبًا بكِ قارئتي العزيزة، ليس لدي أدنى مانعٍ أن نكون مقربتان، دعيني أعرفكِ بي أولًا، إنني فتاةٌ منعزلةٌ منطوية، لا تستطيع التأقلم مع البشر، لم تجد من يحبها، إنسانةٌ بائسةٌ رحلَ الجميع عنها، سيؤلمكِ جواري عزيزتي فارحلي إن شئت مذُ البداية فقلبي ليس به متسعٌ لخيبةٍ أخرى، رفيقتي المقربة لقلبي إتهمتني بالكبرياء والتعالي وأشياء أخرى أفضل الإحتفاظ بها بقرارة نفسي، فقد مست صديقتي الأقرب منها" الكتابة" ومن ثمَ تركت الباب مفتوحًا من خلفها ورحلت، غرفتي وكتبي قلمي وأوراقي الثمانية والعشرونَ حرفًا ليس لي صديقٌ سواهم، أجلس بعدَ منتصف الليل لأُلملم شتات أمري وأستعد لرسم البسمة على شفتاي صباح اليوم التالي فأخرج من مضجع حزني لأواسي البؤساء ممن حولي وأنا فـ الواقع بأمسِ الحاجة للمواساة، لم أعد أشتهي شيئًا فقد فقدت شغفي لكل شيء، فقدت الحياة رونقها بعيناي، لست حزينةً كما يراني البعض لكن الواقع أنني وحيدةٌ للغاية، الجميع حولي ولا أحدَ حولي، روحي منطفئةٌ للغاية، هنالكَ ضوضاء بعقلي، وبراكين ثائرةً مقبعها جوفي، إنني مصدر إزعاج للبشر جميعًا، تتملكني الخيبات أكثر مما

تتخيلي، لذا أنصحكِ بعدم الاقتراب، هنالكَ بأعماقي خراب، لن أنجو من بؤسي أبدًا، حالي حالكٌ لا يعلمه سوى عالمُ السرِ وأخفى، تمر علي الأيامُ ثقال ويكأنها عجافُ سنينٍ طوال، كلٌ شيءٍ مُرٌ و يأست من أن يحلو ويَمر، ذَبلتُ عزيزتي ولازالت شقوق قلبي تزهر، اعذريني أطلت لكنني لا أقوي علي وصف حالي ببضعةِ أحرف، لذا سأكتفي بهذا القدر الذي لربما يشبع رغبتكِ، أما عن إسمي فأنا لا أعلمه، لربما تناسيته من شدةِ كُرهي لذاتي، وأما عن عنواني فإنني أقطن بالشارع رقم ما لا نهاية البؤس، بجوار سوق الحزن بمدينة البؤساء حالكة السواد هذا هو عنواني عزيزتي.

نهايةً إن لامست أحرفي هذي شيئًا فيكِ فاعلمي أنني قد أصبت الهدف، وإن حدثَ ورحلتي قبل قراءتها كاملةً فـ لكِ ولقلبكِ مني السلام.

أمَا بعدَ كل هذَا البؤس ألا زلتِ تريدين التقربَ مني!

"الثاني عشر من مايو 2020."

ها أنا أكتب الآن من قاع بؤسي، أكتب لأرثي للكلمات ذاتي، ألتجئ للحروف علها تحمل عن عاتق قلبي ما ألمَ به، لتحتضنني السطور بين ثناياها، وألتحف الألفَ واتدثر بالياء، لجأت إليهم لعلي أجد ملجأً لي بينهم، لكنني لا أظنهم سيبقوا هم أيضًا، فالجميع قد رحلوا، سيرحلون مثلهم لا محاله، سيكسر سن القلمِ ويجفَ مداده، وستنضبُ الأوراق، وستتلعثم في فمي الكلمات، وتهرب كما هربت من عقلي الآن.

لا أعي لمن التجأ _ بعد من يعلم السرَ وأخفي _ إذا ما تُركت منهم أيضًا، لقد وثقت التاريخ علني أجدهم على العهد في مثل هذا التوقيت بعد عامٍ أو أكثر.

أو لربما حينها لن أجدَ أحدًا هنا، حتي ذاتي ربما لم أجدها.

"وما الذي قتل قلبكِ؟"

أقسمُ لكَ أنه لم يكن ليقتلَ أبدًا، لقد كان راسيًا صلبًا، لكن قُتلَ لتركِ صديقةٍ أودعتها قلبي فما حفظته، و لا تركته ينعمُ بباقي أخلاء الأرض، لم يقُتل من الوهلة الأولى، لكن توالت عليه ألفٌ وخمسمائة طعنةٍ بعد المليون أرهقته، لم تكن أيضًا آخرهم من جعلته يخر صريعًا بل تراكمات من قبلها، تجرعَ أكاسيرَ كثيرةٍ من الخذلان لا تُعد ولا تحصي، أما كفاه كل هذا ليقتل.

" لا تقارني"

لست بمزاجٍ جيد لأنظم كلماتي لك، لكن فقط وددت إخبارك بأنني لربما لست فتاة مميزةً بعينك، لكنني مميزةٌ للغايةِ بعيني، لا أفقه شيئًا عن التلون والخداع، ولربما هذه نقطة ضعفي لكن لا بأس، حاذر أن تقارني بأحد، فإنني لست مثل أحد ولا أشبه أحد، حتى أشباهي التسعة والثلاثون لا يشبهونني قلبًا ولو كانوا يشبهونني قالبًا، عليكَ تقبل عيوبي قبلَ مميزاتي، لا أضع أحدً بحياتي بمقارنةٍ مع غيره، لذا لا أقبل بوضعي بمقارناتٍ البتة.

ولو حدثَ ووجدتني بين كفتي أحدهم لانسحبت من حياته فورًا دون مبررات، فإنني لا أقوى على رؤيتي بالمحطة الثانية من حياته.

لربما أيضًا لست أفضل من قابلتهم، ولست أجملهم أيضًا، لكن تالله أقسم لكَ أنني أنقاهم، فرفقًا بي وإياكَ ثمَ إياكَ أن تُقارني.

"أفيقي من غفلتكِ"

وما أنتِ إلا بمراهقة بالسابعةِ عشرةَ من عمرك، تحكم أشباح المشاعر قبضتها على عُنقكِ فتنساقين إليها، تصدقين يعسوب كلماتهم وما هي إلا لكماتٌ كَذوب، تَزِنينَ الأمور كُل الأمورِ بقلبكِ وعقلكِ هذا تلقين به بحاوية القمامة ويكأنه فيروسٌ مميت، كُل من يمر بجواركِ ويلقي عليكِ تحيةَ الصباح يتعلق قلبكِ به دون مقدمات، تضربين بنصائح الكبار عرضَ الحائط وتتمردين، من السهل جدًا خداعكِ ومن الأسهل كسرك، تخرجين من غرفتكِ فـ الثانية عشرَ تِيهًا وطيشًا بعدَ منتصف الليل، تبحثين عن الأمان بين وحوش الظلام فمن أينَ لكِ بالأمان بينَ صُناع الخوف، أفيقي من غفلتكِ قبلَ أن تهوي بجُبِ اليم، وتذكري أنه لن ينتشلكِ من الظلام أحد.

"تَعِب"

عمتَ مساءً يا صاح، الساعة الثانية عشرَ خوفًا، تفكيرًا، فزعًا وليسَ ليلًا أبدًا فكما تعلم أنني دائمًا بليلٍ أبدي لا تشرق شمسي أبدًا، تتضارب الأفكار براسي لتنشبَ معركةً ضارية بين عقلي وقلبي، فتُقام مدينةٌ ثائرةٌ مقبعها أعماقي فينجلي السلام عني لتبدأ الأفكار ترتشف من عقلي كما أرتشف قدح قهوتي لتنسينيها وما زادني إلا تفكيرًا.

روحي منهكةٌ يا عزيزي، تقبض الوحدة بأنيابها علي وجميعهم يعلم بحاجتى لمن ينتشلني من بين فكيها لكن للأسف لم يُقدم أحدهم على فعلها وتركوني غارقًا بلُجي بحارها، إنه التعلق يا صاح التعلق فقد أُصبت بلعنته حتى أصابتني لعنة الخذلان والفقد .

شُذبت روحي، وانطفأت أعماقي وصرت عندَ الله من البائسين، هنا مقبعٌ البؤس عزيزي، مقبعه قلبي، منطوٍ منغلقٌ علي ذاتي أهاب التعلق المتبوع بخذلان، قلبي يئن وصار مفتقدًا لمن يربت عليه عله يهدأ من روع انتفاضة، يحترق عقلي من فرط التفكير، ويتبعه قلبي من فرط التذكر، ذكريات شائكةٌ عزيزي تأبى تركي، و يا ليتني قادرٌ على إجهاضها من رحم عقلي، لكن للأسف عَمت جسدي كـ خلايا سرطانيةٍ لن تتركني إلا بإهلاكي، ستقصيني عن حياتي لا مفر.

ماذا تنتظر مني وثلثي بؤس الأرض صُبَ بقلبي؟ لقد حلتُ لحبيبات رمادٍ متطايرةٍ تتلاعب بها الريح فـ مهباتها، فلم أكن يومًا سوى عابر سبيل بأزقةِ قلوبهم.

تذكر يومًا يا صاح أنني كنت مزهرًا، وعندمًا كانوا هم على شفا حفرةٍ من الذبول أزهرتهم بوردي، لكن بائعُ الزهرِ ذبلَ يا عزيزي، وتلاشت الراء من موضعها فانقطع حبل ودهم واتصل حبل ودي فبتروه بأيديهم، بئس الصِحاب وساء الرفاق.

اذكرني فـ دعائكَ علني أعود يومًا مزهرًا، وداعب بابتسامتك وجهي علني أتبسمُ، وجد علي برحمةٍ ووداٍ فلعل يومًا حبلَ الوصال المبتور يوصلُ.

"ترك"

هنالكَ العديد من الصراعات بداخلك، وبالرغم من ذلكَ لازلتَ صامدًا، هنالكَ العديد من الخيبات تحدق بك، ولازلت تبحث عن مخرجٍ من تلكَ العتمة، هلاكٌ محتوم ينتظرك، وفى ريعان خيبتك هذه تجد أصدقائك واحدًا تلو الآخر يرحلون تباعًا، يرحلون لأن نبعكَ الفياض جف، لأنك لم تعد أنت، حتى أنت لا يمكنكَ التعرف عليك، هنا تشعر ويكأنكَ فقدت روحكَ وجسدكَ معًا، لا تستطيع البوح، ولا تجد مبررات ولو وجدت لن تجدي نفعًا، فهم يُخَيل إليهم أنكَ تلهو وتسعد، وفي الحقيقة أنكَ تهفو وتتعس، دعك من كل هذا الهُراء، الألم هنا يكمن بأنه عوضًا عن أن يتفهمك ذاك المدعو صديقكَ ويحمل عن عاتقكَ، يتفنن فـ الهُجران والرحيل، وهنا برحيله يزيد فوق خيباتكَ خيبة.

"إنني لست أنا"

أنا لست هي، بل إنني لست أنا، من أراها الآن إنسانةٌ باهتةٌ خاليةٌ من جميع صفات الحياة، مسخٌ إنساني لايعي أحدٌ ماهيته، لا أدري ماذا عساه أن يوصلني لتلكَ المرحلة من البؤس، لا أدري.

إنني مُهشَّمةٌ من الداخل مهمشةٌ من الخارج، لربما يبدو علي الثبات لكنني على النقيض تمامًا، لما بهتت ألواني، وقحلت صحراء روحي، وتلاشت ابتسامتي، سُحقًا ألرحيلها؟

الحق كل الحق علي مذُ البداية، فلقد وهبتها رفقًا وأمانًا، وما وهبتني سوى ذلٍ وهوانٍ، التمست لها من الأعذار سبعةً وسبعون ألفَ عذرٍا ولم تنته، فلم أرجمنها، ولكن مسني منها عذابٌ أليم، تجسد بتركٍ وخذلانٍ لعين، خُذلت، ولم أَخذل أبدًا، وما لاقيته جعلني أحتاط من البشر جميعًا، أصبحت منطويةً منعزلة، أخشي التجمعات بل أمقتها، وأهوى العزلة بل أستلذها، كانت روحي جناتٍ من لينٍ ورفقٍ وحبور، فما زادني كل هذا سوى بُهتانٍ وعتيٍ ونفور، فتاةٌ بائسةٌ باهتة، خاليةٌ من جميع معاني الحياة، يمكنكَ القول بأنني الآن بعداد الأموات، روحي فارقت الحياة، وجسدي هنا يأبي الحياة، جسدٌ نحيل، عيون جاحظة لا يعي الناظر لها شاكلتها، تحاط بحدائق سوداء لا تحصي، وجه لا يعلم معالمهُ، إبتسامةٌ بائسةٌ شاحبة.

وما لي أري هنالكَ زوار يريدون التقرب من قلبي من جديد، مهلًا سلام الله على قلوبكم، عودوا من حيث أتيتم، فلقد تلقي قلبي من الخذلان ما يكفى أمةً كاملة، وظل كل نابضٍ في يصرخ بأن كفى ألمًا فأنصحكَ فقط بـ "ألا تقترب.

" كذبَ فكُذبَ، فكذوبٌ كذاب"

وما الكاذبُ إلا منافق متحفنشٌ، ينمق كلماتهِ بعسلٍ مُحلى وما هي إلا لكماتٌ كذوب، خنثرودٌ يقع الجميع بحُلي كلماته المُلتحفةِ ببريقٍ ذهبي، لكن سُرعانَ ما يبهتُ البريقٌ متحولًا لفحمٍ أسودَ اللون يليهِ رمادٌ فاقدٌ لسواده، فلا ترينَ منهُ سوى سنِ السيفِ الذي يطيحُ برؤوس الماكرينَ وما هو إلا بسكينٍ تطعن الصادقينَ، فتجعلهم على شفًا حفرةٍ من النفاق، فبئسَ كل كاذبٍ وكذوب.

" وتبسموا"

سلام مني لأصحاب الابتسامات، أولي القلوب الطاهرة، التي لم يدنسها سواد البشر العابر فيما أزقتهم، لم يشوبها شائبة، أولئكَ الذين تري سيماهم فى قلوبهم من أثرِ المحبة، بشرٌ أم ملائكةٌ لا أدري فقد اختلط الأمر، بل فاقوا الملائكة بنقاء أعماقهم، إذا ما تساقطت العبرات من عينيهم تتساقط صادقةً غيرَ متلاعبةِ أو متصنعة، الذين يخشون على الأخرين كما ذاتهم وأكثر، وإذا ماشرعوا بالحديث، ينمقون كلماتهم خشية جرحِ مشاعر أحدهم ممن يستمعون إليهم، عيونهم بريئة، ضحكاتهم عفويَة طفولية، ومحياهم ينمُ عن بساطة البشرية جمعاء.

أولئكَ الذين يختفون خلفَ قناع العفو خشيةَ لفت الأنظار إليهم، بل إن نقائهم وحده ملفتٌ لهم.

إذا ما عانقت إبتسامتهم وجهكَ تشعر بالدفء من فرطِ الصدقِ المنبثقِ منها، بل يدبُ بأوصال مخيلتكَ أن الأرض لازالت تنجبُ خيرًا، أجل فقلوبهم كما الدرِ المنثور لن تجد لها مثيلا ولا تبديلا.

تشعر ويكأن الأرض لازالت تفترش حلتها البيضاء من الخير من فرطِ ما تحمله قلوبهم من نقاء وبياض لو نثرَ على السوادِ لشانه وأحاله لبياضٍ مهما تعاقبت عليهم الأزمات، تمامًا قلوبهم نقية كحبات المطر أو لربما تفوق بياضَ الثلج، سلام الله عليكم وعلى قلوبكم الناصعة، سلامٌ مني إليكم.

دمتم تبعثون على النفس راحةً ما إن نظرت لمحياكم المبتسم دومًا.

"أولي أقنعة"

مرحبًا يا صاح، الحال حالكٌ هنا للغاية، تالله إنني لست بمنافقةٍ أبدًا كما يعتقد البعض، لست بمتلونةٍ ولا مُخادعة، لكن وجوهي خادعة، تمهل لا أقصد مراوغتكَ أبدًا كل ما فى الأمر أنني أتلوى هنا من فرط الألم، لست بلئيمةٍ ولا بقادرةٍ على ادعاء أي شيء ولا أملك مشاعر زائفة البتة، لا أقوى على رؤيةِ أحدهم يسقط بغيابة الحزن والوحدة وأقفَ مكتوفةَ الأيدي، فسرعان ما يتبدل حالي ليواكب حالة فتجدني أتينكم متدثرةً بثوب الحزن لأشدَ أزرهُ، وفي أحايين أخرى تجدني أغرق ببحر لُجي من الآلام والظلمة الحالكة ولكن تجدني متدثرةً بثوب الفرح وأرسم على ثغري من الابتسامات أبهاها لكي لا يصيب من حولي ما أصابني، فأتفنن في انتقاء أقنعتي لأواري خيبتي .

عندما يجنُ الليل تجدني خائرة القوى، مللت الادعاء بالقوة والثبات، مللت العبوس وكثرَ هطول العبرات من مُقلتاي، فأفضل أن أبتسمَ ولو قليلًا، فتجدني حتى لا أملكُ رفاهيةَ الانهيار.

خنثرود كلماتهم يوجه كسهمٍ مُتقدٍ صوب قلبي فيُطرحني صريعةَ سوء الظن، عندما يرون شعافيلي ينعتونني بالجنون، اسود وجهي وابيضت عيناي من الحزن فإنني والله لستُ بمتصنعةٍ للود ولا غيرهِ من مشاعرَ أُبديها.

لازلت صايخةٌ في العودة لطبيعتي، ولا أقوى على العودة أيضًا، فتجدني هنا في المنتصف المميت بين إرضائهم وإرضاء ذاتي، فلقد باءت كل محاولاتي في النهاية بنُكران الجميل، لازلت أنتظر من يصكني لأُفيق من غفلتي وأرد ذاتي الضائعةَ في سبيل ارضائهم.

"مريضةٌ بالفقدان"

لازلت مُصابةً بـ فوبيا مستديمة تُدعى الفُقدان، وما قولكَ لو كان فُقدانًا مسبوقًا بتركٍ وخذلان.؟

الأمر ليس هينًا أبدًا بل إنه مُهينٌ للغاية، أن تتركَ روحكَ وقلبكَ بين قبضتي شخص، ومن ثمَ تسير متجردًا من جوارحكَ كـ جثةٍ هامدٍ مُهمدة، لا شيء يُضاهي أبدًا ذاك الشعور المؤلم بالضياع، أن تكون تائهًا بك، ومن بيده هدايتكَ للسبيل لا يكترث لك، فقط سلبكَ منكَ ورحل.

"مَراسيلُ عالقة"

إلى تلك التي تربعت على عرش تلك المضغة التي بيساري.

عزيزتي، بل طبيبتي والطاء حالت إلى حاء، أيا ظلي والظاء كاف، أيا ينبوعًا جاءني لأرتوي بعد سنين عجاف، ربما الإله اختارك لتكوني بجواره _ اللهم لا اعتراض على قضاء الله _ ، يعز عليّ فرقكِ كثيرًا، والقلب يأن لرحيلكِ وها هو قد حمل من الهم والحزن طائلاً كبيرًا وكبيرًا، لربما رحلتِ عن العالم؛ لكن لم ترحلي عن قلبي، أيعقل أن يحب غيركِ كيف وأنتِ سيدته، بل ملكته المتوجةُ على عرشةِ أبد الدهر، فكما ترين برغم أنني قد بلغت من الكبر عتيًا، إلا أنني أحتفظ بذكرياتنا كلها، صارت هي عكازي الذي أتكئ عليه بعدما خانتني قدماي، وبرغم أن بعضها تذرفهُ الرياح في مهبها إلا أنها لازالت تقاوم لتكون معي للنهاية، أقسم لكِ ما إن ذهبت كلها فستذهب روحي معها، فأنا لا أقوى على العيش بدونكِ، فما بالكِ بعد الفقد؟

لقد صارت هي حبلي الوحيد تلك المراسيل التي كنت أكتبها لكِ وحدك، وربما لم ولن يفهم أحد كلماتها سوانا، سأظل متشبثًا بذاك الحبل ولو بفتيلةٍ واحدةٍ أبت الرضوخ للعجز والصمود بوجههِ، حسنا يا خاصتي اذكريني عند ربكِ وها أنا أعدكِ بلقاء قريب، سيكون ربكِ عليه رقيب.

"حنين للطفولة"

ما بالها طفولتنا لا تعود، عهد الطفولة البريء ذاك، حينما كنا نترعرع ونرتاع بين أزهار الطفولة، بين جمالها ونقائها تجول ذكرياتي، هنالك الروح المرحة كانت ترفرف في الأنحاء، لا حقدَ ولا استهزاء، كنا نخطوا خطواتنا الأولى غير عابئين بتلكَ العقبات، نتصرف بعفوية ونحبوا تجاه من نحب و نبثه حبنا بكل تلقائية، لكن الآن بيننا وبين الأحباب حواجز تحول بيننا، أتذكر رفاقي حينما كنا نلعب فى حضرة منزلنا الصغير، لربما كنا نتخاصم لكن سرعان ما نتصالح، يدغدغ الشوق قلوبنا ما إن افترقنا لدقائق، أتذكر ذات مرة عصفت علينا عاصفة من الأمطار، فابتعنا مظلةً من أحد الأشجار، و تشبثنا ببعضنا غير آبهين بقطرات المطر، فقلوبنا أشد نقاءً منها، لم نكن نعي معنًا للفقدان والهجر، كان كل ما نعرفه يتسم بالبراءة، البراءة فحسب، لازالت ذكريات تلكَ الأيام تراودني، لازلت أتذكرها ويكأنها لم يمر عليها سوى بضع ليلٍ، أجل فكما تعلمون أن الأعمار والسنين وما شابه ما هي إلا بضع أرقام، فروحنا لازالت طفلةً حبيسة الأعماق، وبالرغم من أننا قد أُصبنا بمسٍ من سواد البشر إلا أننا لازلنا نجاهد أنفسنا لنحتفظ بتلكَ الروح البريئة، صدقًا تبدلت أحوالنا الآن، لقد صرنا نتألم بعدما لم نكن نعلم للألم معنى ، لكن كما قال تعالى : لقد خلقنا الإنسان في كبد، فلا مفرَ من بعض المشقة ليرى الله أنصبر أم نكفر.

ربما فقدنا الكثير، لكن لابد وأن نتشبث بما بقى لنا من ذكرياتٍ نقيةٍ لم يشوبها شائبة، فأن للصبَا أن يعود لنخبره بما فعلت بنا الأيام، وربما جاء المشيب ولازلنا في بدايةٍ الأيام!

"لا تحزن إنَ الله معنا"

لا أخفي عليكَ أمرًا أن الحزنَ نال مني ومنكَ، فمسنا بسوءٍ جعل قلوبنا توصد أبوابها أمام الجميع، لكن مهلًا، لقد نال منكَ ما نال ونال مني ما نال، أو تحسبن ألا تجبرَ على ما سلبك، وما كسرك.؟

الحزن يا عزيزي ليس أبديًا، لكن ثق بأن الله سيبعث إليكَ نجمًا سرمديًا ينشر السعادة بين طيات فؤادك حتى تتيقن أن الحزن ما كان سوى بضع دقائق مرت ويكأنها طلائق رمادية كست أرضَ تربتكَ الوردية، وحان الوقت الآن يا صاح لتعانقَ السعادة الأبدية.

"مُناجاة"

وصديقٌ يصدقني فـ يُصادقني، ورفيقٌ يرفقُ بقلبي فـ يرافقني، يأخذ بيدي لطريق الرحمن فبه الله من النيران يعتقني، يرتب بعثرتي وعلى طريق الرشاد يثبتني، ينير عتمتي وما إن يجدني أسقط بقاع الذلات ينتشلني ويمسكني، يكون لي حِرزًا ونفعًا، وأجد به من الآلام البشرِ مُسكنا ومن وحشةِ الدنيا مؤنسًا ومَسكنًا، يكون خفيفَ الظلِ لطيفَ المرورِ طيبَ المُعاملة فيأسر قلبي ويصير له خاضعًا تابعًا، يهون عليَّ هموم الحياة ويزيل غمومَ الآهات، فيظل أثرهُ بي عالقًا مدى الحياةِ وحتى الممات.

"صديقةٌ راحلة"

لم يكُ لها حبيبٌ صادقٌ يحفظ قلبها، ولم تقع بشباك أحدهم يومًا، كانت تغلف قلبها بطبقاتٍ غليظةٍ من الحياء والتواري عن أعين العابرين لئلا يُفتن به أحد، كانت قادرةً على كبح جماح قلبها وعدم الانسياق للعاطفة، لكنها وقعت بشباكِ صديقةً أودعتها قلبها المغلف بالسكر والعسل، لكن وأسفي لم تكن له بحافظة.

أدمت قلبها ونقضَته أنقاضًا ورحلت عنها دون الالتفات لوضع لَبنةٍ واحدةٍ لبناء حُطامة.

لكنها قوية وأعادت لملمة شتاتها وبناء ذاتها..

كانت قوية لتلك الدرجة التي تجعلها قادرة على العودة من جديد، وكتبت بإحدى رسائلها لتلكَ التي اغتالت قلبها.

مرحبا عزيزتي، ألا زلت تتذكرينني، أنا من كنت أدعي صديقتكِ يوما.

أما بعد، فلقد مرَ حُبًا من هنا على شاكلتكِ فـ كان مُرُ حبًا وأثقل كاهلي، وقطم ظهري وما رأف بقلبي أبدًا.

لا أطمح لنتلاقى مجددًا لأنكِ سقط من عين قلبي وليس من العين فقط.

لكن إن التقينا وصرت أطلبها من قلبي لأجعلكِ ترين كم أنني بخير بدونكِ، لا أدري متى اللقاء أو كيف أو أين أو متى..؟

لربما نلتقي بمفترق طريقٍ يجمع كل من كان عزيزًا بعزيزة الراحل، فـ تمام الساعة الثانية عشرَ بعدَ منتصفِ التماثل للإزهار، وأين بأحد أحلامي الوردية.

حينها سأنظر اليكِ نظرة المغشي عليه من الموت، ليست نظرة المغشي عليه من الخذلان أبدًا، فمن ذاق الخذلان لا يذيقهُ لغيره أبدًا.

سأخبركِ أنكِ كنتِ تلكَ البذرة التي زرعها الله بفلاة قلبي الميؤوس من إزهارها فأزهرت بوجودك، لكنكِ بفعلتكِ وهجركِ بارت للأبد، لقد وصلتِ لتلكَ النقطة شاهقة البعد بقلبي والتي لم يصل اليها أحد.

أخبرتكِ إنكِ نبضُ نابضي وكذا أنتِ فعلتي لكن والله ثم والله ما صدقتِ بل كَذبتِ وإدعيتِ، سأظل عند وصفي هذا، لكن المعضلة هنا أن تلكَ النقطة لن يصل إليها أحدٌ مجددًا ولا أنتِ حتى.

وددت لو علمتِ أن الفؤاد برحيلكِ أغلق أبوبه وجهك ووجه من حاول دخوله بعدكِ وأصبحَ منطويًا منغلقًا على ذاته، يحاول الوصول لتلكَ المرحلة من السلام النفسي التي كان ينعم بها قبل أن تغزوه جيوشكِ الكاذبة، متناسيًا من أنتِ ومن كُنتِ وماذا ارتكبتِ بحقه أيضًا.

لكن عزيزتي هنيئًا له تخطاكِ بمراحل عدة، ونعم بهذا السلام وضعفه أضعافًا وأضعاف، وأغلق أبوابه، وعاد كما كان وأصلب من ذي قبل، وحُصنت أسواره بأمهر الجنود، وأعدكِ لن يخترقه أحدٌ كائنٌ من كان، ولو وددت العودة ستجدين المجانيقَ منصوبةً بانتظارك على ضفته الشرقية، أجل فقد كانت أول ما خطت قدماكِ به.

"ماذا بك؟"

مَاذَاَ بِكَ؟

بِيَ مَا بِيَّ، فَهل سَيُجْدِي إنَّ تَفَوهَتُ بِما بي؟

حَسَّنًا دَعني أُخبِركَ أنني هَالِكُ أو بالأَصَحِ مُتَهَالك، كانت ابتساماتي تُعانق وجوهَ الجميع في الوقتِ الذي كانت أعماقي به تصرخُ ألمًا، كُنتَ أزرعُ يا عزيزي زهرًا فأحصدهُ شوكًا مُلتحفًا بمرارةِ الهُجران، ومن ثمَ أسقط بغيابةِ الفُقدان، ذكرياتٌ على هيئةِ لكماتٍ ممزوجةٍ بآهاتٍ، خلفت ليَّ ندوبًا لن تندملَ ولو بعدَ حين، الأمرُ يا عزيزي ليسَ بالهينِ أبدًا، بل للغايةِ إنهُ مُهين، أُصبت بلعنةِ التفكير، فما جَنيتُ سوى خيوطٍ متشابكةً تؤلم ولا تؤلم فقد اعتدتها، كُل خيطٍ بها يسردُ دونَ الآخرَ قصةَ خذلان لعينٍ لحقَ بي، فتتعالى ضحكاتي ممزوجةً بحسرةٍ فيحسبها المُستمعُ لها غناءً وما يعلمُ أنها صرخاتٌ مكتومةٌ لا أقوى على إخراجها بهيئتها فيشمتُ بي كُل عدوٍ وجَيم، فأثرتُ أن أخرجها بهيئةٍ زائفةٍ لتقعَ على قلوبهم وقعَ الغِسلين.

مشتتٌ ومُبعثر للحد الذي لا حدَ له، للحد الذي يجعلني فاقدًا لشغفي، فقدت الحياةُ رونقها بعيني، وانطفئتُ يا عزيزي، انطفئتُ بعدمَا كانَ الجميع يقتبسُ من نوري، وها هم تركوني على شفًا حفرةٍ من الذبول، بعدمَا فني نوري، لكن مهلًا لازلتُ بخير أجل إنني لازلتُ أرددها، بخيرٌ رغمًا عن بؤسي، بخيرٌ رغمًا عن بأسي، بخيرٌ رغمًا عن ندوبي وحُزني.

دعني أخبركَ بشيءٍ واخذ به فأكون لكَ ناصحًا أمين، عندمَا تجد أحدهم مقبلًا على الحياة فلا تردنهُ من الخائبين، وخذ بيده لينعمَ ويكونَ منَ المُنعمين، جفف الدمعَ من أعين الباكين، و امدد يدكَ لتعانقَ أيدي

المشتتين، فلا بأسَ يا عزيزي بقولِ ألا بأس عندما يغزو المرءُ البأسَ كلُ البأس، هنالكَ ستفرجَ ويأتينكَ من الله اليقين.

"ولكنني"

_ولكنني لستُ بالجميلةِ أبدًا.

ومن قال هذا؟ تالله إنني لأرى الجمالَ يكمنُ فيكِ.

عن أي جمال تتحدثين، والجميع يعلنون بقبحي سرًا وجهرًا، من أمامي ومن خلفي، علانيةً وخفية، عن أي جمالٍ أخبريني؟

ذاكَ الجمال النابعُ من عينيكِ، عفويتكِ وطفوليتكِ، حياؤكِ ورضا والديكِ، حلمكِ وإيمانكِ، حاملةٌ لكتاب الله، متبعةٌ لتعاليمه، سائرةٌ على نهج نبيهِ، عائشةٌ أنتِ بجمالكِ، خديجةٌ بطهارتكِ، امرأةُ موسى بحيائكِ، جلبابكِ الفضفاض يحدثنا عن جمالكِ، مُعاملتكِ التي تترك أثرها بنفوس البشر، وضَوءُ وجهكِ الناتج عن خشوعكِ بصلاتكِ، عن هذا الجمال أتحدث عزيزتي، فلقد تُوجتي بحيائكِ ملكةً على عرشِ الجمال.

_وماذا عن مظهري، الجميع يرونني متدثرةً برداء القبح!

مظهري ومظهرك، ليسَ لدينا يدٌ به، إنه خلق الله فأروني ماذا خلق الذي من دونه، عزيزتي بل والله إنها لصبغةُ الله ومن أحسن من الله صبغة، لاتكترثنَ للمظاهرِ أبدًا، فوالله إن الجمال جمال القلوب، ولا يشينُ جمال القلبِ عيبًا من العيوب، جمال الوجه يفنى ويزول، وجمال القلبِ من فرطهِ يجعل الناظر إليه يذوب، ستظلينَ بنقائكِ وطهارتكِ كـ يوسفَ وأنا المُتيمةُ بكِ كـ يعقوب.

"مُعاناة"

لازلنا ثكلى تحوم حولنا العطبات فتحكم قبضتها على أعناقنا، ولازالت الأدمعُ حبيسةَ الأعينِ فبالرغم من أنَ الصيخدَ قد استقرت بكبدِ السماء وتبلجَ الصبحُ إلا أن أرواحنا لازالت حبيسةَ الظلام، تتوالى علينا التباريحُ والآلام فُجاجًا فما وجدنا لنا موئلًا منها سوى ذاتنا فلقد رحلَ عنا الجميعُ وتفرقت الجموع، أصابنا النصبُ والكَمدُ فأوينا لظل دوحةٍ لنختدرَ بظلها بعيدًا عن همومنا، لكنها أيضًا لم تدم وحلَ عليها الخريفُ فتفرقت أوراقها وتشتت كما تفرق الأناسيُ فهم في التركِ واحدٌ، وأنَ كلُ ما عليها لفانٍ سوى وجه ربكَ، فتشبث فقط بحبلهِ فوحده بقادرٍ على جمعِ الجموعِ بعدَ التشتتِ ."

"مُهجتي"

وكيف لا أكون غَيورًا يا مُنيتي ومُهجة قلبي، ألم أعهد إليكِ أنهُ لو من كان يَرمُقك بنظرات وَلعٍ غيري لأفنيت نوره.

أنتِ لي أميرةٌ، فالأميراتُ لا يتشابهن، منهم العسيرة ومنهم اليسيرة، أنت أجمعهم عسيرة الوصف فـ جمالك لا يُضاهي ويسيرةٌ في احتلال قلبي، انغمستُ بكِ حدَ الغرقِ ولا أريدُ طوقَ نجاةٍ سواكِ، وحدكِ من بيدكِ نجاتي، ولا أحدَ سواكِ بيده هلاكي، لازلتِ أولَ دعوةٍ أطلبها بكل سجدةٍ من الذي سَوَاكِ، فلتكوني لي غُصنَ زهرٍ وإياكِ أن تصيرَ نونهُ تاءً فلا أحظى بشيءٍ سوى الأشواكِ.

مهلًا فـ عيناكِ بحيرةٌ وبحرُ بُنٍ لُجيٌ وقعتُ به فصرتُ إثرَ خمرهِ ثملًا فاقدًا لإدراكي، وليبقَ فؤادكِ لي موئلًا ولا أحدَ غيري يأتينكِ بلوعةٍ منتظرًا بسمتكِ وبُشراكِ.

"مختلفةٌ بعين قلبي"

_ولكني عادية، ليس بي من المميزات شيء، فتاةٌ كـ غيرها من بني جنسها، كل ما في الأمر أنني مدثرةٌ برداء البؤس.

ما هذا الهُراء تالله إنكِ لفريدةٌ من نوعك، عزيزةٌ على قلبي، لطيفةُ المرور، أخاذةُ المبسم، متفتحةُ البصر والبصيرة، فتاةٌ على هيئةِ جبرٍ جئتني فجبرتِ كسور روحي، وضمدتي ندوب جسدي، وأعدت ميتًا مثلي للحياة من جديد.

_ صه، ماذا تقول، تالله إن كلَ ما تفوهتَ به لـ تُراهات، فلو كنت فريدةً مثلما تقول لما تركني الجميع، إذا لمَا هُمشت، وها أنا بعدَ الفقدان هُشمت، وأصبت بلعنةِ الهُجران، وبئس بها لعنة.

لأنهم لم يكونوا مُحبين من البداية، لم يكونوا صادقين واغتالوا براءتكِ، ومن ثمَ قاموا بمسخ سجيتكِ الملائكية.

_وماذا عن ندوبي، ماذا عن جروحي، ماذا عن تشتتي، وماذا عن ذاتي المفقودة، بل لما أنا؟

أما عن ندوبكِ فإني أراها زهورًا، وهاكِ وردي أُهديك إياه، ولك الحق إن رضيتِ بحذف الراء ولتدعيني حينها أنسج حبال الوداد بيننا، وأما عن جروحكِ فلقد رأيتها ناتجةً عن كل مُر همٍ لحقَ بكِ وها أنا جئتكِ لأكون مَرهمًا لها، وأما عن ذاتكِ فلقد وجدت بها نصفي المفقود، وبعدمَا رحلتِ لازالت الروحُ لروحهَا ترتحلُ، وأما عنكِ فـ لأنكِ أنتِ، فتاةٌ نقيةٌ كـ زخات المطر، رقيقةٌ كـ زجاج البلور، غاليةٌ كما الذهب والدر النفيس بل والله إن مقامكِ أعزُ لدى قلبي من ملءِ الأرض ذهبًا ودُرًا، أنتِ أنتِ لأنكِ بعيني

مختلفةٌ، ولا يعنيني كيفَ يرونكِ بأعينهم، وها أنا جئتكِ مُعترفًا بمكنونكِ لدي، فهل تقبلينَ أن تكوني لقلبي أولَ وأخرَ المالكينَ وأكون لكِ من المتيمين!

الفهرس.

الصفحة.	رقم الصفحة.
التعريف بالمبادرة.	2
المقدمة.	3
الإهداء.	4
الفصل الأول. بعنوان: صباحيات.	5
الفصل الثاني. بعنوان: وماذاَ عنه	12
الفصل الثالث. بعنوان: قصة قصيرة	18
الفصل الرابع. مُقتطف من النصوص والمقالات.	22
الفصل الخامس. بعنوان: محضُ تُراهات.	74
الفهرس.	107